الكتاب: أنواع الصبر ومجالاته – مفهومٌ، وأهميَّةٌ، وطرُقٌ، وتحصيْلٌ في ضوء الكتاب والسنة
المؤلف: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني
الناشر: مطبعة سفير، الرياض
توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض
عدد الأجزاء: 1
[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]

رسائل سعيد بن علي بن وهف القحطاني

أنواع الصبر ومجالاته
مفهومٌ، وأهميَّةٌ، وطرُقٌ، وتحصيْلٌ
في ضوء الكتاب والسنة

تأليف الفقير إلى الله تعالى

د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني

(/)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فهذه رسالة مختصرة في ((أنواع الصبر ومجالاته)) اختصرته من كتابي: ((مقومات الداعية الناجح)) بيَّنت فيه: مفهوم الصبر، وأهميته، ومكانته في الدعوة إلى الله تعالى، ومجالاته، وأحكام الصبر، وأنواعه، وأوضحت صوراً من مواقف تطبيق الصبر والشجاعة، وبيّنت طرق تحصيل الصبر التي من عمل بها رُزق الصبر والاحتساب، والثواب ووفِّي أجره بغير حساب، والله تعالى أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به في حياتي وبعد مماتي، وأن ينفع به كل من انتهى إليه؛ فإنه خير مسؤول،

وأكرم مأمول، وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، وخيرته من خلقه، نبينا وحبيبنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

المؤلف: أبو عبد الرحمن

سعيد بن علي بن وهف القحطاني

حرر بعد عصر يوم الأحد الموافق 8/ 10/1422هـ

(1/3)

المبحث الأول: مفهوم الصبر

الصبر لغة: الحبس والمنع، وهو ضدّ الجزع، ويقال: صبر صبراً: تجلَّد ولم يجزع، وصبر: انتظر، وصبّر نفسه: حبسها وضبطها، وصبر فلاناً: حبسه، وصبرت صبراً: حبست النفس عن الجزع، وسُمّي الصوم صبراً لما فيه من حبس النفس عن الطعام، والشراب، والنكاح (1).

فتبين بذلك أن الصبر هو: منع وحبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكّي، والجوارح عن التشْويش: كلطم الخدود، وشقّ الجيوب ونحوهما (2).

وحقيقة الصبر: هو خُلُقٌ فاضل من أخلاق النفس يمنع صاحبه من فعل ما لا يَحْسُنُ، ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها (3).

وهذه القوة تمكِّن الإنسان من ضبط نفسه لتحمّل المتاعب، والمشاق، والآلام (4).

---

(1) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، 3/ 7،والمصباح المنير،1/ 331،والقاموس المحيط، ص540،ومختار الصحاح، ص145،والقاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، ص206.

(2) انظر: عدة الصابرين لابن القيم، ص27، ومدارج السالكين، 2/ 156، وطريق الهجرتين لابن القيم، ص437.

(3) انظر: عدة الصابرين، ص29.

(4) انظر: الأخلاق الإسلامية للميداني، 2/ 305.

(1/4)

المبحث الثاني: أهمية الصبر في الدعوة إلى الله تعالى

الصبر في الدعوة إلى الله تعالى من أهم المهمات، ومن أعظم الواجبات على الدعاة إلى الله – سبحانه وتعالى –، والصبر وإن كان واجباً بأنواعه على كل مسلم، فإنه على الدعاة إلى الله من باب أولى وأولى؛ ولهذا أمر الله به إمام الدعاة وقدوتهم رسول الله عليه الصلاة والسلام: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ} (1)،

وقال تعالى: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ} (2)، وقال تعالى: {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَلَقدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ} (3)، فهذا سيد ولد آدم – صلى الله عليه وسلم – قد أمره الله بالصبر، وأتباعه من باب أولى.

والله – عز وجل – قد أوضح للناس أنه لابد من الابتلاء، والاختبار، والامتحان لعباده، وخاصة الدعاة إلى الله تعالى؛ ليظهر الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق، والصابر من غيره، وهذه سنة الله في خلقه، قال سبحانه: {الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} (4)، وقال – عز وجل –: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ

---

(1) سورة النحل، الآيتان: 127، 128.
(2) سورة الأحقاف، الآية: 35.
(3) سورة الأنعام، الآية: 34.
(4) سورة العنكبوت، الآيات: 1 – 3.

(1/5)

وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ} (1).

وقال عليه الصلاة والسلام: ((أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه ...)) (2).

وقد ذم الله – عز وجل – من لم يصبر على الأذى من أجل الدعوة إلى الله فقال سبحانه: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ} (3)؛ ولهذا قال سبحانه: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ} (4)، وقال تعالى: {مَّا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} (5).

وتبرز أهمية الصبر في الدعوة إلى الله – عز وجل – في عدة أمور، منها:

أولاً: إن الابتلاء للدعاة إلى الله لابد منه، فلو سلم أحد من الأذى لسلم

---

(1) سورة محمد، الآية: 31.
(2) الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، برقم 2398، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، برقم 4023، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، 2/ 565، وأحمد في المسند، والحاكم عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – بإسناد صحيح، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، 1/ 65، برقم 143.

(3) سورة العنكبوت، الآية: 10.
(4) سورة البقرة، الآية: 214.
(5) سورة آل عمران، الآية: 179.

(1/6)

رسل الله عليهم الصلاة والسلام وعلى رأسهم إمامهم محمد بن عبد الله عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام فقد أُوذوا فصبروا، وجاهدوا حتى نصرهم الله على أعداء الدعوة إلى الله تعالى، ولاشك أن كل داعية مخلص يصيبه الأذى، وإن سلم أحد فذلك من أندر النوادر.

ثانياً: الصبر يحتاجه الداعية في دعوته إلى الله في ثلاثة أحوال:
1 – قبل الدعوة بتصحيح النية والإخلاص، وتجنب دواعي الرياء والسمعة، وعقد العزم على الوفاء بالواجب.
2 – أثناء الدعوة، فيلازم الصبر عن دواعي التقصير والتفريط، ويلازم الصبر على استصحاب ذكر النية، وعلى حضور القلب بين يدي الله تعالى، ولا ينساه في أمره.
3 – بعد الدعوة، وذلك من وجوه:
الوجه الأول: أن يُصبِّر نفسه عن الإتيان بما يُبطل عمله، فليس الشأن الإتيان بالطاعة، وإنما الشأن في حفظها مما يبطلها.
الوجه الثاني: أن يصبر عن رؤيتها والعجب بها، والتكبر، والتعظم بها.
الوجه الثالث: أن يصبر عن نقلها من ديوان السر إلى ديوان العلانية، فإن العبد يعمل العمل سرّاً بينه وبين الله سبحانه فيكتب في ديوان السر، فإن تحدث به نُقل إلى ديوان العلانية (1).
ثالثاً: الصبر في الدعوة إلى الله – عز وجل – بمثابة الرأس من الجسد، فلا دعوة

---

(1) عدة الصابرين، ص90.

(1/7)

لمن لا صبر له كما أنه لا جسد لمن لا رأس له، ولهذا قال ابن القيم رحمه الله تعالى: ((الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له، كما أنه لا جسد لمن لا رأس له)) (1)، فإذا كان ذلك في الإيمان فالصبر في الدعوة إلى الله تعالى من باب أولى.
رابعاً: الصبر في الدعوة إلى الله تعالى من أعظم أركان السعادة الأربعة قال – سبحانه وتعالى –: {وَالْعَصْرِ* إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} (2)، كما قال ذلك سماحة العلامة ابن باز رحمه الله تعالى.

خامساً: الصبر من أعظم أركان الخُلق الحسن الذي يحتاجه كل مسلم عامة وكل داعية إلى الله تعالى خاصة، وقد أشار إلى ذلك الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى (3).

سادساً: الصبر في الدعوة إلى الله من أهم المهمات؛ ولهذا ذكره الله – عز وجل – في القرآن الكريم في نحو تسعين موضعاً كما قال الإمام أحمد (4).

سابعاً: الصبر في الدعوة إلى الله – عز وجل – من أعظم القربات ومن أجل الهبات ولم أعلم –على قلة علمي – أن هناك شيئاً غير الصبر يُجازى

---

(1) هذا مقتبس من كلام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –،حيث قال: ((ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد)) ثم رفع صوته فقال: ((ألا لا إيمان لمن لا صبر له)) انظر فتاوى ابن تيمية،10/ 4.

(2) سورة العصر.

(3) انظر: مدارج السالكين، 2/ 308.

(4) المرجع السابق، 2/ 152.

(1/8)

ويثاب عليه العبد بغير حساب قال الله – عز وجل –: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ} (1)، اللهم إلا الصيام فإن الصيام من الصبر.

ثامناً: الدعوة إلى الله سبيلها طويل تحف به المتاعب والآلام؛ لأن الدعاة إلى الله يطلبون من الناس أن يتركوا أهواءهم وشهواتهم التي لا يرضاها الله – عز وجل –، وينقادوا لأوامر الله، ويقفوا عند حدوده، ويعملوا بشرائعه التي شرع، فيتخذ أعداء الدعوة من هذه الدعوة عدواً يحاربونه بكل سلاح، وأمام هذه القوة لا يجد الدعاة مفرّاً من الاعتصام باليقين والصبر؛ لأن الصبر سيف لا ينبو، ومطية لا تكبو، ونور لا يخبو.

تاسعاً: الصبر في مقام الدعوة إلى الله تعالى هو وصف الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وعليه مدار نجاح دعوتهم إلى الله تعالى، ولاشك أن الداعية إذا فقد الصبر كان كمن يريد السفر في بحر لجّي بغير مركب {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ} (2)؛ ولهذا أوصى به الحكماء من أتباع الأنبياء، فهذا لقمان الحكيم عندما أوصى ابنه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قرن ذلك بالصبر {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ} (3)، فهو عندما أمره بتكميل نفسه بطاعة الله أمره أن يكمّل غيره وأن يصبر على ما ينزل به من

---

(1) سورة الزمر، الآية: 10.

(2) سورة الروم، الآية: 60.

(3) سورة لقمان، الآية: 17.

(1/9)

الشدائد والابتلاء.
عاشراً: الداعية إلى الله – عز وجل – لا يكون قدوة في الخير مطلقاً إلا بالصبر والثبات عليه، كما قال سبحانه في صفات عباد الرحمن: { ... وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} (1)، وهذه الإمامة في الدين لا تحصل قطعاً إلا بالصبر، فقد جعل الله الإمامة في الدين موروثة بالصبر واليقين {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} (2)، فإن الدين كله علم بالحق وعمل به، والعمل به لابد فيه من صبر، والداعية لابد له من أن يعلم الحق ويعمل به حتى يقوم بالدعوة، ولا يقوم بالدعوة إلا بالصبر على ما أصابه.
الحادي عشر: الصبر ينتصر به الداعية على عدوه – مع الأخذ بالأسباب – من الكفار والمنافقين، والمعاندين، وعلى من ظلمه من المسلمين ولصاحبه تكون العاقبة الحميدة، قال – عز وجل –: { ... وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} (3)، وقال تعالى: {لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ} (4)، وحكى الله عن يوسف عليه الصلاة والسلام قوله

---

(1) سورة الفرقان، الآية: 74.
(2) سورة السجدة، الآية: 24.
(3) سورة آل عمران، الآية: 120.
(4) سورة آل عمران، الآية: 186.

(1/10)

وبأي شيء نال النصر والتمكين، فقال لإخوته حينما سألوه: {أَإِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} (1) , ولابد بعون الله وتوفيقه من النصر للداعية المتقي الصابر العامل بما أمره ربه، ومن ذلك الأخذ بجميع الأسباب المشروعة {وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} (2).
الثاني عشر: الصبر من أهم المهمات للداعية؛ لأنه لا يكون داعية مُوَفَّقاً إلا إذا كان صابراً على دعوته وما يدعو إليه، صابراً على ما يعترض دعوته من معارضات، صابراً على ما يعترضه هو من أذى.
الثالث عشر: الصبر يشتمل على أكثر مكارم الأخلاق، فيدخل فيه الحلم؛ فإنه صبر عن دواعي الانتقام عند الغضب، والأناة: صبر عن إجابة دواعي العجلة، والعفو والصفح صبر عن إجابة دواعي الانتقام، والجود والكرم صبر عن إجابة دواعي الإمساك، والكيس: صبر عن إجابة دواعي الكسل والخمول، والعدل صبر إذا تعلق بالتسوية بين المتماثلين، وسعة الصدر صبر عن الضجر، والكتمان

وحفظ السر صبر عن إظهار ما لا يحسن إظهاره، والشجاعة صبر عن إجابة دواعي الفرار، وهذا يدل على أهمية الصبر في الدعوة إلى الله تعالى، وأن الداعية لا يسعه أن يستغني عنه في جميع أحواله.
الرابع عشر: الصبر نصف الإيمان: فالإيمان نصفان: نصف صبر ونصف

---

(1) سورة يوسف، الآية: 90.
(2) سورة هود، الآية: 115.

(1/11)

شكر، قال تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} (1). وقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ...)) (2).
الخامس عشر: الصبر سبب حصول كل كمال، فأكمل الخلق أصبرهم؛ لأن كمال الصبر بالعزيمة والثبات، فمن لم يكن له عزيمة فهو ناقص، ومن كان له عزيمة ولكن لا ثبات له عليها فهو ناقص، فإذا انضم الثبات إلى العزيمة أثمر كل مقام شريف وحالٍ كامل، ولهذا يُرْوَى: ((اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد)) (3)، وشجرة الثبات والعزيمة لا تقوم إلا على ساق الصبر (4).
السادس عشر: الصبر يجعل الداعية إلى الله – عز وجل – يضبط نفسه عن أمور لابد له من الابتعاد عنها، ومنها: ضبط النفس عن الاندفاع بعوامل الضجر، والجزع، والسأم، والملل، والعجلة، والرعونة، والغضب، والطيش، والخوف، والطمع، والأهواء، والشهوات، وبالصبر يتمكن الداعية أن يضع الأشياء مواضعها، ويتصرف في الأمور بعقل واتّزان، وينفّذ ما يريد من تصرف في الزمن المناسب بالطريقة المناسبة الحكيمة،

---

(1) سورة إبراهيم، الآية: 5.
(2) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، برقم 2999.
(3) الترمذي، كتاب الدعوات، باب منه، برقم 3407، 5/ 476، والنسائي، كتاب السهو، باب نوع آخر من الدعاء، برقم 1304، 3/ 54، وأحمد في المسند، 4/ 125.
(4) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم، ص440.

(1/12)

وعلى الوجه المناسب، بخلاف عدم الصبر الذي يوقع في التسرع والعجلة، فيضع الداعية الأشياء في غير مواضعها، ويتصرف فيخطئ في تحديد الزمان، ويسيء في طريقة التنفيذ، وربما يكون صاحب حق

فيكون مفسداً، ولو أنه اعتصم بالصبر لسلم من ذلك كله بإذن الله تعالى (1)، وبهذا يتضح أن الصبر ضروري للداعية يتسلح به ويتصف به في محاور ثلاثة:

المحور الأول: الصبر على طاعة الله والدعوة إليه.

المحور الثاني: الصبر عن محارم الله.

المحور الثالث: الصبر على أقدار الله المؤلمة.

وكل هذه المحاور الثلاثة لها ارتباط وثيق بوظيفة الدعوة إلى الله – عز وجل –؛ لأنها تجعل الداعية قدوة حسنة لغيره من الناس (2).

السابع عشر: الصبر ذو مقام كريم وخلق عظيم؛ ولهذا قرنه الله بالقيم العليا في الإسلام، ومن هذه القيم التي قرنه بها ما يأتي:

1 – قرنه باليقين {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} (3).

2 – ربطه الله تعالى بالشكر في أربع سور {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ

---

(1) انظر: عدة الصابرين لابن القيم، ص140،والأخلاق الإسلامية وأسسها للميداني،2/ 305،و329.

(2) انظر: المرأة المسلمة المعاصرة، إعدادها ومسؤوليتها في الدعوة، للدكتور: أحمد أبا بطين، ص210.

(3) سورة السجدة، الآية: 24.

شَكُورٍ} (1).

3 – جمعه مع التوكل {الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} (2).

4 – قرنه بالصلاة {وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} (3).

5 – قرنه بالتسبيح والاستغفار {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ} (4).

6 – جمعه مع الجهاد {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَاهَدُواْ وَصَبَرُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} (5).

7 – ربطه بالتقوى {وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ} (6).

8 – ربطه بالحق {وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} (7).

9 – قرنه بالرحمة: {وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ} (8).

الثامن عشر: رتَّب الله تعالى خيرات الدنيا والآخرة على الصبر ومن ذلك:

1 – معيَّة الله مع الصابرين {إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} (9).

---

(1) سورة إبراهيم، الآية: 5، وسورة لقمان، الآية: 31، وسورة سبأ، الآية: 19، وسورة الشورى، الآية: 33.

(2) سورة النحل، الآية: **42**.
(3) سورة، البقرة، الآية: **153**.
(4) سورة الطور، الآية: **48**.
(5) سورة النحل، الآية: **110**.
(6) سورة آل عمران، الآية: **186**.
(7) سورة العصر، الآية: **3**.
(8) سورة البلد، الآية: **17**.
(9) سورة البقرة، الآية: **153**.

2 – محبَّة الله للصابرين {وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} (1).
3 – صلوات الله ورحمته على الصابرين { ... وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} (2).
4 – ضمان النصر والمدد للصابرين {بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} (3).
5 – الحفظ من كيد الأعداء {إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا} (4).
6 – استحقاق دخول الجنة {أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا} (5).
وهذه الفضائل قليل من كثير، ولله دَرُّ القائل:

الصبر مثل اسمه مرٌّ مذاقته ... لكن عواقبه أحلى من العسل

---

(1) سورة آل عمران، الآية: **146**.
(2) سورة البقرة، الآيات: **155 – 157**.
(3) سورة آل عمران، الآيتان: **125 – 126**.
(4) سورة آل عمران، الآية: **120**.
(5) سورة الفرقان، الآية: **75**.

المبحث الثالث: مجالات الصبر

للصبر مجالات كثيرة في حياة الإنسان منها المجالات الآتية:

المجال الأول: ضبط النفس عن السأم والملل عند القيام بالأعمال التي تتطلب الصبر والمثابرة خلال مدة مناسبة قد يراها المستعجل مدة طويلة.

المجال الثاني: ضبط النفس عن الضجر والجزع عند حلول المصائب والمكاره.

المجال الثالث: ضبط النفس عن العجلة والرعونة عند تحقيق مطلب من المطالب المادية أو المعنوية.

المجال الرابع: ضبط النفس عن الغضب، والطيش عند مثيرات عوامل الغضب في النفس، ومحرضات الإرادة للاندفاع بطيش لا حكمة فيه ولا اتّزان في القول أو في العمل.

المجال الخامس: ضبط النفس عن الخوف عند مثيرات الخوف في النفس، حتى لا يجبن الإنسان في المواضع التي تحسن فيها الشجاعة، وتكون خيراً، ويقبح فيها الجبن ويكون شراً.

المجال السادس: ضبط النفس عن الطمع عند مثيرات الطمع حتى لا يندفع الإنسان وراء الطمع في أمرٍ يقبح الطمع فيه.

المجال السابع: ضبط النفس عن الاندفاع وراء أهوائها، وشهواتها وغرائزها كلما كان هذا الاندفاع أمراً لا خير فيه.

المجدال الثامن: ضبط النفس لتحمل المتاعب، والمشاقّ، والآلام الجسدية والنفسية كلما كان في هذا التحمل خير عاجل أو آجل.

وحين يتأمل المسلم في المجالات التي تحتاج إلى صبر في حياة الإنسان

يتبيّن له أن الصبر ضرورة لكل عمل نافع: فكسب الرزق يحتاج إلى صبر، ومعاملة الناس تحتاج إلى صبر، والقيام بالواجبات والمستحبات يحتاج إلى صبر، والكفّ عن المحرمات والمكروهات يحتاج إلى صبر، والجهاد في سبيل الله يحتاج إلى صبر، ومقارعة شدائد الحياة ومقاومة مكارهها وتحمل تكاليفها يحتاج إلى صبر، والدراسة والبحث العلمي والاجتهاد في استخراج الأحكام الشرعية من مصادرها الأصلية أمور تحتاج إلى صبر جميل، فلا يقوم بها إلا كل صابر، وكظم الغيظ والدفع بالتي هي أحسن أمور تحتاج إلى حظ عظيم من خلق الصبر (1).

والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتربية الأسرة المسلمة تربية إسلامية أمور تحتاج إلى صبر عظيم.

فتبين بذلك أن الإنسان لا يستغني عن الصبر في حال من أحواله؛ لأنه بين أمر يجب عليه تنفيذه، ونهي يجب عليه اجتنابه وتركه (2).

فالصبر ضرورة لازمة للإنسان ليبلغ آماله، وتنجح مقاصده، فمن صبر ظفر، فكل الناجحين في الدنيا والآخرة إنما حققوا آمالهم بالله ثم بالصبر، ولله درُّ أبي يعلى الموصلي القائل:

إني رأيتُ وفي الأيام تجربة ... للصبر عاقبة محمودة الأثر

وقلَّ من جدَّ في أمرٍ يحاوله ... واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر (3)

---

(1) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها للميداني، 2/ 306، و319.
(2) انظر: عدة الصابرين لابن القيم، ص87.
(3) انظر: الصبر الجميل لسليم الهلالي، ص 15 - 16.

(1/17)

المبحث الرابع: حكم الصبر
ذكر الإمام ابن القيم أن الصبر واجب بإجماع الأئمة (1)، ويقصد بذلك -رحمه الله - الصبر الواجب؛ فإن الصبر ينقسم إلى خمسة أقسام:
القسم الأول: صبر واجب: كالصبر على الطاعات، والصبر عن المحرّمات، والصبر على المصائب التي لا صنع للعبد فيها: كالأمراض، والفقر، وفقد الأنفس والأموال وغيرها.
القسم الثاني: صبر مندوب: كالصبر عن المكروهات، والصبر على المستحبات.
القسم الثالث: صبر محرم: كالصبر على المحرّمات: كمن يصبر عن الطعام والشراب حتى يموت أو يصبر على ما يهلكه من سبع أو حية، أو حريق أو ماء، وهو يستطيع مدافعة ذلك بالأسباب النافعة.
القسم الرابع: صبر مكروه: كمن يصبر عن الطعام والشراب حتى يتضرر بذلك بدنه.
القسم الخامس: صبر مباح: وهو الصبر عن كل فعلٍ مستوي الطرفين خُيِّر بين فعله وتركه.
وبالجملة: فالصبر على الواجب واجب، وعن الواجب حرام.

---

(1) انظر: عدة الصابرين لابن القيم مع الأمثلة لكل نوع، ص50 - 52، والصبر في ضوء الكتاب والسنة، مجلة دعوة الحق، العدد 54، ص75 - 90، مع الأمثلة بتوسع لكل نوع، ومدارج السالكين، 2/ 152.

(1/18)

والصبر عن الحرام واجب، وعليه حرام.
والصبر عن المكروه مستحب، وعليه مكروه.
والصبر على المستحبّ مستحبٌّ، وعنه مكروه.
والصبر عن المباح مباح، وعليه مباح. والله أعلم.
والصبر المحمود والمأجور عليه صاحبه هو ما اشتمل على شروط ثلاثة:
1 - الإخلاص لله {وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ} (1).

2 – عدم الشكوى إلى العباد.
3 – أن يكون الصبر في أوانه عند الصدمة الأولى (2).

---

(1) سورة المدثر، الآية: 7.
(2) انظر: الصبر الجميل، ص27 – 29.

(1/19)

المبحث الخامس: أنواع الصبر

سبق في أقسام الصبر باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به أن الصبر الواجب ثلاثة أنواع هي: صبر على طاعة الله وأداء الواجبات، وصبر عن المعاصي والمحرمات، وصبر على المصائب والبليات وأقدار الله المؤلمة. وسأبين ذلك بشيء من التفصيل في المطالب الآتية:

المطلب الأول: الصبر على طاعة الله

الطريق إلى الله تعالى مليئة بالعوائق؛ لأن النفس بطبعها تنفر من القيود، والعبودية لله قيد لشهوات النفس؛ ولذلك فالنفس لا تستقيم على أمر الله بيسر وسهولة، فلابد من ترويضها، وكبح جماحها، وهذا يحتاج إلى اصطبار.
قال تعالى: {رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} (1).
وقال جل ثناؤه: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى} (2).
والصبر على الطاعة يتكون من ثلاث شعب:
الأولى: صبر قبل الطاعة بتصحيح النية، والإخلاص، والتبرؤ من شوائب الرياء.

---

(1) سورة مريم، الآية: 65.
(2) سورة طه، الآية: 132.

(1/20)

قال تعالى: {إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} (1).
فقدم الله – سبحانه وتعالى – الصبر على العمل.
الثانية: الصبر حال الطاعة حيث لا يغفل عنها أثناء تأديتها، ولا يتكاسل، فيأتي بها على أكمل وجه مشروع متبعاً ما بينه الرسول – صلى الله عليه وسلم – حذو القُذَّة بالقُذَّة.
قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ

فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} (2).
الثالثة: الصبر بعد العمل، فلا ينظر لنفسه بعين العجب، فيتظاهر بما قدَّم سمعةً ورياءً؛ لئلا يحبط عمله ويبطل أجره، ويمحو أثره.
والصبر على الدعوة إلى الله من أعظم الطاعات؛ فإن الدعوة إلى الله سبيلها طويل، تحف به المتاعب والآلام، وذلك أن الدعاة يطلبون من الناس أن يطلِّقوا أهواءهم، وينحروا أوهامهم، ويثوروا على شهواتهم، ويقفوا عند حدود الله أمراً ونهياً.
وأكثر الناس لا يؤمنون بهذا النمط الجديد، فيتخذون من هذه الدعوة عدواً يحاربونه بكل سلاح.

---

(1) سورة هود، الآية: 11.
(2) سورة العنكبوت، الآيتان: 58 – 59.

وأمام هذه الدعوة العاتية، والسلطة الطاغية لا يجد الدعاة مفراً من الاعتصام باليقين والصبر؛ لأن الصبر سيف لا ينبو، ومطية لا تكبو، ونور لا يخبو.
وحينئذٍ لابد أن يتنادى أهل الإيمان ليتواصوا بالحق، ويتواصوا بالصبر لينجوا من الخسران المبين الذي يواجه الفارّين من وجه الهدى.
وفي ذلك أنزل الحق سورة كاملة هي سورة العصر: {وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} (1).
ومن هذه العصابة المباركة العبد الصالح لقمان وابنه، وهاهو لقمان يوصي ابنه: {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ} (2).
ودونك أيها الداعي إلى الله على بصيرة بعض المعوقات التي تعترض طريقك لئلا تأخذك على حين غرة:

العائق الأول: إعراض الناس عن دعوتك:

لا شيء أثقل على صاحب الدعوة وهو يصيح بأعلى صوته، وينادي بملء فيه لينقذ الناس من الظلمات إلى النور، فلا يجد إلا آذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، وأناساً قد استغشوا ثيابهم، وأصرّوا واستكبروا استكباراً.

---

(1) سورة العصر، الآيات: 1 – 3.
(2) سورة لقمان، الآية: 17.

فهاهو نبي الله نوح – صلى الله عليه وسلم – يناجي ربه: {قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا
اسْتِكْبَارًا} (1).

ولكن التحديات تزيد عود الداعية صلابة، وهمته شموخاً، فلا يفتأ قائماً على أمر الله، ظاهراً على الحق، لا يضره من خالفه، ولا من خذله حتى يجعل الله له سبيلاً: {ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا} (2).

هذا هو شأن قوم أول المرسلين نوح – صلى الله عليه وسلم –، وهو موقف قوم خاتم المرسلين محمد – صلى الله عليه وسلم – لم يتغير ولم يتبدل، وهذه هي سبيل المجرمين في كل القرون ... {أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ}.

ويصف الله تبارك وتعالى موقف قريش من النبي – صلى الله عليه وسلم –: {حم* تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ} (3).

ولهذا قال الله تعالى آمراً نبيه – صلى الله عليه وسلم –: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ وَلاَ تَحْزَنْ

---

(1) سورة نوح، الآيات: 5 – 7.

(2) سورة نوح، الآيتان: 8 – 9.

(3) سورة فصلت، الآيات: 1 – 5.

(1/23)

عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ} (1).

العائق الثاني: الأذى من الناس قولاً وفعلاً:

أعداء الحق يقابلون الإحسان بالإساءة، فالداعي إلى الله يمحض لهم النصح فيتهمونه بما ليس فيه، ويدعوهم إلى الله بالموعظة الحسنة فيردونه بالسوء، ويجادلهم بالتي هي أحسن فيقاومونه بالتي هي أخشن وأسوأ، ويصدع بينهم بالحق فلا يسمع منهم إلا الباطل.

وفوق هذا كله تمتدّ يد الباطل إلى الأموال فتنهبها، وإلى الأبدان فتعذّبها، والحرمات فتنتهكها، والأنفس فتقتلها.

وهذا ما أشار إليه رب العزة مخاطباً المؤمنين ليوطّنوا أنفسهم على الصبر والثبات: {لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ} (2).

وفي الآية: نكت لطيفة ينبغي لفت نظر الدعاة إليها:

الأولى: وصف الله – سبحانه وتعالى – الأذى المسموع من أهل الكتاب والمشركين بالكثرة، وهذا يدل على أن حرباً كلامية وإعلامية ستشن على أهل الإيمان.

(1) سورة النحل، الآيتان: 127، 128.
(2) سورة آل عمران، الآية: 186.

(1/24)

أسلحتها: التشويه، والتشويش، والدسّ، والافتراء، والتحريف.
شعارها: الغاية تبرر الوسيلة، واكذب حتى يصدِّقك الناس.
فلابُدَّ من احتمال مكارهها، والصبر على تجرّع غصصها حتى يأتي نصر الله فيحقّ الحق، ويبطل الباطل إن الباطل كان زهوقاً.
الثانية: قرن الله الصبر بالتقوى، فلابدَّ أن يجمع المؤمنون التقوى والصّبر لمواجهة هذه الحرب الضروس.
الصبر للثبات في وجه الباطل.
والتقوى للتعفّف عن مقابلة الخصوم بأسلحتهم الخبيثة، فالمؤمن لا يواجه الدسّ بالدسّ، ولا الافتراء بمثله؛ لأن المؤمنين يحكمهم قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (1).
الثالثة: قرن الله بين أهل الكتاب والمشركين هذا مع اختلاف مشربهم ووجهتهم، وفي هذا لفتة رائعة إلى أن عدواتهم للإسلام وأهله وحّدت بينهم على اختلاف.
هذا ما قرره القرآن الكريم قبل مئات السنين، وأيده التاريخ والواقع.
لقد وجدنا اليهودية العالمية، والصليبية، والشيوعية الدولية تختلف بينها أشد الاختلاف، ثم تتناسى هذا كلّه عندما يحاربون الإسلام.

(1) سورة المائدة، الآية: 8.

(1/25)

قال الله تعالى: {وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} (1).
وقال جل ثناؤه: {وإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} (2).
فصبر جميل، والله المستعان على ما يفعلون.
وأنبياء الله جميعاً يمثلون هذا النوع من الصبر حيث قالوا ردّاً على أذى أقوامهم: {وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا

آذَيْتُمُونَا وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ} (3).
وكان عزاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن الرسل جميعاً من قبله حدث لهم الأذى والتشويه والافتراء: {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ الله} (4).
ومن هنا أمر الله رسوله أن يصبر على إيذاء قومه: {وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلا} (5).
ولقد ضرب سحرة فرعون – حين وقع الحق فآمنوا – مثلاً رائعاً في الصبر، فلم يفتّ من عضُدِهم، ولم يزعزع يقينَهم تهديدُ فرعون:
{ ... آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ

---

(1) سورة الأنفال، الآية: 73.
(2) سورة الجاثية، الآية: 19.
(3) سورة إبراهيم، الآية: 12.
(4) سورة الأنعام، الآية: 34.
(5) سورة المزمل، الآية: 10.

خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ} (1).
ما هذا الوعيد الهادر (2) من طاغية جبار يقول للناس: أنا ربكم الأعلى، وما علمت لكم من إلهٍ غيري.
إن أمواجه تتحطّم على يقين المؤمنين الذين وقفوا كالجبال الشمّ، ولكنهم توجهوا إلى الله ليثبّتهم، ويلقي في قلوبهم السكينة، ويفرغ عليهم الصبر: {قَالُواْ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ * وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ} (3).

العائق الثالث: استبطاء النصر والفرج:
لقد جعل الله – سبحانه وتعالى – العاقبة للمتقين، وكتب لهم التمكين في الأرض؛ ليكون الدين كله لله، ولكن هذه المنزلة لن يبلغها المؤمنون بين عشيةٍ وضحاها.
قال تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ الله أَلا إِنَّ نَصْرَ الله قَرِيبٌ} (4).
متى نصر الله؟ استبطاءً له، واستعجالاً لمجيئه؛ هنالك يجيء الغوث للملهوف، والفرج للمكروب، فتفرح القلوب – ألا إن نصر الله قريب.

---

(1) سورة الأعراف، الآيتان: 123 – 124.
(2) الهادر: هدر البعير هدراً، أي ردد صوته في حنجرته، ويضرب لمن يصيح ويجلب. القاموس المحيط، (هدر).
(3) سورة الأعراف، الآيتان: 125 – 126.
(4) سورة البقرة، الآية: 214.

(1/27)

وليعلم المسلم أن في تأخير الفرج لطائف وأسراراً، منها:
1 – أن الكرب كلما اشتدّ كان الفرج قريباً كما في قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} (1).
2 – أن الكرب كلما اشتدّ وجد اليأس من كشفه من جهة المخلوق، وازداد التعلق بالخالق حتى يصل العبد إلى محض التوكل الذي هو من أعظم الأسباب التي تطلب بها الحوائج، كما قال تعالى: {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} (2).
3 – أن الكرب كلما اشتدّ فإن العبد حينئذ يحتاج إلى زيادة مجاهدة الشيطان لأنه يأتيه فيقنّطه، ويسخّطه، فيحتاج العبد إلى مجاهدته ودفعه، فيحوز ثواب مجاهدة عدوّه ودفعه.
ولهذا قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول: قد دعوت فلم يستجب لي فَيَدع الدعاء)) (3).
واعلم أخا الإيمان أن المؤمن كلما استبطأ الفرج واستيأس منه ولاسيما بعد كثرة الدعاء وإلحاح التضرع ولم تظهر له إجابة رجع إلى نفسه

---

(1) سورة يوسف، الآية: 110.
(2) سورة الطلاق، الآية: 3.
(3) متفق عليه: البخاري، كتاب الدعوات، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل، برقم 6340، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل، فيقول: دعوت فلم يستجب لي، برقم 2735.

(1/28)

يلومها، قائلاً: إنما أُتيتُ من قِبَلِكِ.
وهذا اللّوم أحبّ إلى الله من أكثر الطاعات لأنه يورث انكسار العبد الصالح لربّه، فلذلك يسرع إليه الفرج ويتواثب إليه اليسر؛ لأن الله يجبر المنكسرة قلوبهم لأجله، وعلى قدر الكسر يكون الجبر.
قال تعالى: {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللهِ قَلِيلاً

مَّا تَذَكَّرُونَ} (1).

المطلب الثاني: الصبر عن المعاصي والمحرمات

إذا أخذت الدنيا زينتها وأقبلت على الإنسان تتراقص كالحسناء اللعوب، ونشرت شهواتها ذات اليمين وذات الشمال، فهذا لون جديد من الابتلاء، إنه فتنة السرَّاء؛ لأن الله يبلو عباده بالشر والخير.

قال تعالى: {وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} (2).

انظر رحمك الله لقد جعل ذو الجلال والإكرام التنعيم والإكرام ابتلاءً كالتضييق في الرزق سواء.

ولذلك فالعبد محتاج إلى الصبر عن ملاذ الدنيا وشهوات النفس، فلا يطلق لها العنان لتسترسل وراء شهواتها من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث.

وثمة أمر آخر للصبر في هذا المجال إنه الصبر عن التطلُّع إلى دنيا

---

(1) سورة النمل، الآية: 62.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 35.

الآخرين، والاغترار بما ينعمون به من مال وبنين.

قال تعالى: {وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى} (1).

ولا تظن أيها العبد القانع بما آتاه الله أن ما في أيدي الطغاة العتاة المغرورين نعم .. إنها نقم ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ألم تقرأ قول الله تعالى: {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لا يَشْعُرُونَ} (2).

وهذا هو المثال لا يزال شاخصاً للذين يعتبرون في كل القرون، لقد خرج قارون الذي ملك الكنوز ذات المفاتيح التي تنوء بالعصبة أولي القوة ... خرج على قومه في كامل زينته، وأبهى حلته، وفخامة موكبه ومركبه. فقال الذين يريدون الحياة الدنيا وزينتها في حسرة وتلهف:

{ ... يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} (3).

ولكن الدنيا لن تخلو من ناصح أمين ورث العلم والإيمان والصبر من المرسلين: {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ الله خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلا الصَّابِرُونَ} (4).

وكان ما قدَّره الله فصل الخطاب: {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ

---

(1) سورة طه، الآية: 131.

(2) سورة المؤمنين، الآيتان: 55 – 56.

(3) سور القصص، الآية: 79.
(4) سورة القصص، الآية: 80.

(1/30)

لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَن مَّنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} (1).

المطلب الثالث: الصبر على المصائب وأقدار الله المؤلمة

لا أحد يسلم من آلام النفس، وأمراض البدن، وفقدان الأحباء، وخسران المال.
وهذا ما لا يخلو منه بَرٌّ ولا فاجر، ولا مؤمن ولا كافر، ولكن المؤمن يتلقَّى هذه المصائب برضىً وطمأنينة تفعم قلبه الذي أسلس قياده لمقلّب القلوب والأبصار؛ لأنه يعلم علم اليقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.
قال تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} (2).
فالبلاء هنا عام يصيب القلوب بالخوف، والبطون بالجوع، والأموال بالنقص، والأنفس بالموت، والثمرات بالآفات.
ومن لطف الله ورحمته بعباده أنه جعل البلاء: {بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ ... } الآية؛ ليدل على التقليل مراعاة لضعف العباد، وتخفيفاً عليهم، ورحمةً بهم.
وفي هذا المجال كان صبر أنبياء الله مثلاً يُقتدى به، فأيوب صبر على مرضه

---

(1) سورة القصص، الآيتان: 81 - 82.
(2) سورة البقرة، الآية: 155.

(1/31)

وفقد أهله، ويعقوب عليه الصلاة والسلام صبر على فراق ولده، وكيد أبنائه، ويوسف عليه الصلاة والسلام صبر على السجن والافتراء والدسّ والتشويه الذي مارسته امرأة العزيز قبل أن يحصحص الحق، ومحمد - صلى الله عليه وسلم - صبر على كسر رباعيَّته، وشجّ وجهه، ووضع السلا على ظهره - صلى الله عليه وسلم - ... !!

(1/32)

المبحث السادس: صور من تطبيق الصبر في الدعوة

المطلب الأول: صور من صبر النبي – صلى الله عليه وسلم – في دعوته

للنبي محمد – صلى الله عليه وسلم – مواقف في الدعوة إلى الله تدل على صبره، ورغبته فيما عند الله تعالى، ومن المعلوم أنه صبر في جميع أحواله ابتداءً بدعوته السرية حتى لَقِيَ ربه صابراً محتسباً، وصور صبره في دعوته كثيرة جداً لا تحصر، ولكني أقتصر على إيراد الصور التطبيقية الآتية:

الصورة الأولى: صعوده على الصفا ونداؤه العام:

أمر الله نبيه بإنذار عشيرته الأقربين، فقال – عز وجل –: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ} (1).

فقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بتنفيذ أمر ربه بالجهر بالدعوة والصدع بها، وإنذار عشيرته، فوقف مواقف حكيمة أظهر الله بها الدعوة الإسلامية، وبيّن بها حكمة النبي – صلى الله عليه وسلم – وشجاعته، وصبره وإخلاصه لله رب العالمين، وقمع بها الشرك وأهله، وأذلهم إلى يوم الدين.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} صعد النبي – صلى الله عليه وسلم – على الصفا فجعل ينادي: ((يا بني فهر، يا بني عدي – لبطون قريش – حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب، وقريش، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقيّ؟ قالو:

---

(1) سورة الشعراء، الآيات: 214 – 216.

نعم، ما جرَّبنا عليك إلا صدقاً. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)). فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} (1).

وفي رواية لأبي هريرة – رضي الله عنه – أنه – صلى الله عليه وسلم – ناداهم بطناً بطناً، ويقول لكل بطن: ((أنقذوا أنفسكم من النار ...))، ثم قال: ((يا فاطمة أنقذي نفسك من النار؛ فإني لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رحماً سأبلُّها ببلالها)) (2).

وهذه الصيحة العالمية غاية البلاغ، وغاية الإنذار، فقد أوضح – صلى الله عليه وسلم – لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلة بينه وبينهم، وأوضح أن عصبية القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت في حرارة هذا الإنذار، الذي جاء من عند الله تعالى، فقد دعا – صلى الله عليه وسلم – قومه – في هذا الموقف العظيم – إلى الإسلام، ونهاهم عن عبادة الأوثان، ورغّبهم في الجنة، وحذّرهم من النار، وقد ماجت مكة بالغرابة والاستنكار، واستعدّت لحسم هذه الصرخة العظيمة التي ستزلزل عاداتها وتقاليدها وموروثاتها الجاهلية؛ ولكن الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – لم يضرب لصرخاتهم حساباً؛ لأنه مرسل من الله – عز وجل –، ولابدَّ أن يُبلِّغ البلاغ المبين عن رب

العالمين، حتى ولو

(1) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، باب وأنذر عشيرتك الأقربين، 8/ 501، برقم 4770، ومسلم بنحوه في كتاب الإيمان، باب قوله: وأنذر عشيرتك الأقربين، 1/ 194، برقم 208، والآيتان من سورة المسد: 1 - 2.
(2) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة الشعراء، باب وأنذر عشيرتك الأقربين، 8/ 501، برقم 4771، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: وأنذر عشيرتك الأقربين، 1/ 192، برقم 204، واللفظ له.

(1/34)

خالفه أو ردّ دعوته جميع العالمين، وقد فعل - صلى الله عليه وسلم - (1).
استمرّ - صلى الله عليه وسلم - يدعو إلى الله - تعالى - ليلاً ونهاراً، وسرّاً وجهراً، لا يصرفه عن ذلك صارف، ولا يردّه عن ذلك رادّ، ولا يصدّه عن ذلك صادّ، استمر يتتبع الناس في أنديتهم ومجامعهم ومحافلهم، وفي المواسم ومواقف الحج، يدعو من لقيه من: حرٍّ وعبدٍ، وقويّ وضعيفٍ، وغنيّ وفقيرٍ، جميع الخلق عنده في ذلك سواء.
وقد تسلط عليه وعلى من اتبعه الأشدَّاء الأقوياء من مشركي قريش بالأذيَّة القوليَّة والفعليَّة، وانفجرت مكة بمشاعر الغضب لأنها لا تريد أن تفارق عبادة الأصنام والأوثان (2)، ومع ذلك لم يفتر محمد - صلى الله عليه وسلم - في دعوته، ولم يترك العناية والتربية الخاصة لأولئك الذين دخلوا في الإسلام، فقد كان يجتمع بالمسلمين في بيوتهم على شكل أُسرٍ بعيدة عن أعين قريش، وتتكوّن هذه الأسر من الأبطال الذين عقد عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأمل بعد الله - تعالى - في حمل العبء والمهامّ الجسيمة لنشر الإسلام، وبذلك تكوّنت طبقة خاصة من المؤمنين الأوائل قوية في إيمانها، متينة في عقيدتها، مدركة لمسئوليتها، منقادة لأمر ربها، طائعة لقائدها، مطبقة لكل أمر يصدر عنه برغبة وشوق واندفاع لا يعادله اندفاع، وحب لا يساويه حب.

(1) انظر: الرحيق المختوم، ص78، وفقه السيرة، لمحمد الغزالي، ص101، 102، والسيرة النبوية، دروس وعبر لمصطفى السباعي، ص47.
(2) البداية والنهاية، 3/ 40.

(1/35)

وبهذه المواقف الحكيمة، والتربية الصالحة المتينة استطاع محمد - صلى الله عليه وسلم - أن يؤدِّي الأمانة، ويبلّغ الرسالة، وينصح الأمة، ويجاهد في الله حقّ جهاده، ويرسم لنا طريقاً نسير عليه في

دعوتنا وعملنا وسلوكنا، فهو قدوتنا وإمامنا الذي نسير على هديه، ونستنير بِحِكَمِهِ – صلى الله عليه وسلم –.
فقد بدأ الدعوة بعناصر اختارها وربّاها، فلبّت الدعوة، وآمنت به، وكانت دعوته عامة للناس، وأثناء هذه الدعوة يركّز على من يجد عندهم الإمكانات أو يتوقع منهم ذلك، وقد تكوَّن من هذه العناصر نواة القاعدة الصلبة التي ثبتت عليها أركان الدعوة (1).
ومع هذا الجهد المبارك العظيم لم يلجأ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى الاغتيال السياسي، ولم يتخلَّص بالاغتيال من أفراد بأعيانهم، وكان بإمكانه ذلك وبكل يسر وسهولة، إذ كان يستطيع أن يكلف أحد الصحابة بقتل بعض قادة الكفر: كالوليد بن المغيرة المخزومي، أو العاص بن وائل السهمي، أو أبي جهل عمرو بن هشام، أو أبي لهب عبد العزى بن عبد المطلب، أو النضر بن الحارث، أو عقبة بن أبي معيط، أو أُبّي بن خلف، أو أُمية بن خلف ... ،وهؤلاء هم من أشدّ الناس أذيّة لرسول الله – صلى الله عليه وسلم –،فلم يأمر أحداً من أصحابه باغتيال أحد منهم أو غيرهم من أعداء الإسلام؛ فإن مثل هذا الفعل قد يُوْدي بالجماعة الإسلامية كاملة، أو يعرقل مسيرتها مدة ليست باليسيرة، كردّ فعل من أعداء الإسلام الذين يتكالبون على حربه، والنبي – صلى الله عليه وسلم – لم يؤمر في هذه المرحلة باغتيالهم؛ لأن الذي أرسله هو أحكم الحاكمين.

---

(1) التاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر، 2/ 65.

(1/36)

وعلى هذا يجب أن يسير الدعاة إلى الله فوق كل أرض، وتحت كل سماء، وفي كل وقت، يجب أن تكون الدعوة على حسب المنهج الذي سار عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سواء كان ذلك قبل الهجرة أو بعدها، فطريق الدعوة الصحيح هو هديه والتزام أخلاقه وحكمه وتصرفاته على حسب ما أرادها – صلى الله عليه وسلم – (1).

الصورة الثانية: اضطهاد سادات قريش:

رأت قريش أن تجرّب أسلوباً آخر تجمع فيه بين الترغيب والترهيب، فلترسل إلى محمد – صلى الله عليه وسلم – تعرض عليه من الدنيا ما يشاء، ولترسل إلى عمه الذي يحميه تحذّره مغبّة هذا التأييد والنصر لمحمد – صلى الله عليه وسلم –، وتطلب منه أن يكف عنها محمداً ودينه (2).
جاءت سادات قريش إلى أبي طالب، فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه، وإنا والله لا نصبر على هذا، مِنْ: شَتْم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى نكفَّه عنا، أو ننازله وإيَّاك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين.
فعظُم على أبي طالب هذا الوعيد والتهديد الشديد، وعظم عليه فراق قومه وعداوته لهم، ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لهم، ولا خذلانه، فبعث إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال له: يا ابن أخي، إن قومك جاءوني فقالوا لي كذا وكذا، للذي كانوا قالوا له،

فأبقِ عليّ وعلى

---

(1) انظر: التاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر، 2/ 65.
(2) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، 3/ 41، وفقه السيرة لمحمد الغزالي، ص112.

(1/37)

نفسك، ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت، فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك. فثبت النبي – صلى الله عليه وسلم – على دعوته إلى الله، ولم تأخذه في الله لومة لائم؛ لأنه على الحق، ويعلم بأن الله سينصر دينه ويعلي كلمته، وعندما رأى أبو طالب هذا الثبات ويئس من موافقة النبي – صلى الله عليه وسلم – لقريش على ترك دعوته إلى التوحيد قال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أُوسَّد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وأبشر وقرّ بذاك منك عيونا (1)

الصورة الثالثة: مع عتبة:
بعد أن أسلم حمزة بن عبد المطلب، وعمر بن الخطاب أخذت السحائب تنقشع، وأقلق هذا الموقف الجديد مضاجع المشركين، وأفزعهم وزادهم هولاً وفزعاً تزايد عدد المسلمين، وإعلانهم إسلامهم، وعدم مبالاتهم بعداء المشركين لهم، الأمر الذي جعل رجال قريش يساومون رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فبعث المشركون عتبة بن ربيعة ليعرض على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أموراً لعله يقبل بعضها فيُعطَى من أمور الدنيا ما يريد.
فجاء عتبة حتى جلس إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فقال: يا ابن أخي إنك منَّا حيث قد علمت من السطة (2) في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام، 1/ 278، وانظر: البداية والنهاية، 3/ 42، وفقه السيرة للغزالي، ص114، والرحيق المختوم، ص94.
(2) يعني: المنزلة الرفيعة. انظر: المصباح المنير، مادة ((سطا))، ص276، والقاموس المحيط، باب الواو، فصل السين، ص1670.

(1/38)

أتيت قومك بأمر عظيم فرَّقت به جماعتهم، وسفَّهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفَّرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، قال

رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((قل أبا الوليد أسمع))، قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تريد به شرفاً سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك طلبنا لك الطبّ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه ... حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – يستمع منه، قال: ((أقد فرغت يا أبا الوليد؟)) قال: نعم، قال: ((فاستمع مني))، قال: أفعل، فقال: {بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* حم * تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ} (1). ثم مضى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها يسمع منه، ثم انتهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى السجدة منها فسجد، ثم قال: ((قد

---

(1) سورة فصلت، الآيات: 1 – 5.

سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك)) (1).

وفي رواية أخرى أن عتبة استمع حتى جاء الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى قوله تعالى: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ} (2)،فقام مذعوراً فوضع يده على فم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: أنشدك الله والرحم، وطلب منه أن يكفّ عنه، فرجع إلى قومه مسرعاً كأن الصواعق ستلاحقه، واقترح على قريش أن تترك محمداً وشأنه، وأخذ يرغبهم في ذلك (3).

لقد تخيّر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بفضل الله – تعالى –، ثم بحكمته العظيمة هذه الآيات من الوحي، ليعرف عتبة حقيقة الرسالة والرسول، وأن محمداً – صلى الله عليه وسلم – يحمل كتاباً من الخالق إلى خلقه، يهديهم من الضلال، وينقذهم من الخبال، ومحمد – صلى الله عليه وسلم – قبل غيره مكلف بتصديقه والعمل به، والوقوف عند أحكامه، فإذا كان الله – عز وجل – يأمر الناس بالاستقامة على أمره، فمحمد – صلى الله عليه وسلم – أولى الناس بذلك، وهو لا يطلب ملكاً ولا مالاً ولا جاهاً، لقد مكّنه الله من هذا كله، فعفّ عنه وترفّع أن يمدّ يديه إلى هذا الحطام الفاني؛ لأنه صادق في دعوته، مخلص لربه، – صلى الله عليه وسلم – (4).

---

(1) أخرج هذه القصة ابن إسحاق، 1/ 313 من سيرة ابن هشام، قال الألباني: وإسناده حسن إن شاء الله. انظر: فقه السيرة للغزالي، ص113، وتفسير ابن كثير، 4/ 61، والبداية والنهاية، 3/ 62، والرحيق المختوم، ص103.

(2) سورة فصلت، الآية: 13.
(3) انظر: البداية والنهاية، 3/ 62، وتاريخ الإسلام للذهبي، قسم السيرة، ص158، وفقه السيرة لمحمد الغزالي، ص114، وهذا الحبيب يا محبّ، ص102، وتفسير ابن كثير، 4/ 62.
(4) انظر: فقه السيرة لمحمد الغزالي، ص113.

(1/40)

وهذا موقف من أعظم مواقف الصبر والحكمة التي أوتيها النبي – صلى الله عليه وسلم –، فهو قد ثبت وصدق في دعوته، ولم يرد مالاً، ولا جاهاً، ولا مُلكاً، ولا نكاحاً، من أجل أن يتخلّى عن دعوته، وقد اختار الكلام المناسب في الموضع المناسب، وهذا هو عين الحكمة.

الصورة الرابعة: مع أبي جهل:
قرَّر المشركون ألا يألوا جهداً في محاربة الإسلام وإيذاء النبي – صلى الله عليه وسلم – ومن دخل معه في الإسلام، والتعرض لهم بألوان النكال والإيلام.
ومنذ جهر النبي – صلى الله عليه وسلم – بدعوته إلى الله، وبيّن أباطيل الجاهلية، انفجرت مكة بمشاعر الغضب، وظلت عشرة أعوام تعدّ المسلمين عصاة ثائرين فزلزلت الأرض من تحت أقدامهم، واستباحت في الحرم الآمن دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وصاحبت هذه النار المشتعلة حرب من السخرية والتحقير، والاستهزاء والتكذيب، وتشويه تعاليم الإسلام، وإثارة الشبهات، وبثّ الدعايات الكاذبة، ومعارضة القرآن، والقول بأنه أساطير الأولين، ومحاولة المشركين للنبي – صلى الله عليه وسلم – أن يعبد آلهتهم عاماً، ويعبدون الله عاماً! إلى غير ذلك من مفاوضاتهم المضحكة!
واتّهموا النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – بالجنون، والسحر، والكذب والكهانة، والنبي – صلى الله عليه وسلم – ثابت صابر محتسب يرجو من الله النصر لدينه، وإظهاره (1).
لقد نال المشركون من النبي – صلى الله عليه وسلم – ما لم ينالوه من كثير من المؤمنين، فهذا

---

(1) انظر: فقه السيرة لمحمد الغزالي، ص106، والرحيق المختوم، ص80، 82، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، 2/ 85، 88، 91، 93، 94، وهذا الحبيب يا محبّ، ص110.

(1/41)

أبو جهل يعتدي على النبي – صلى الله عليه وسلم – ليعفِّر وجهه في التراب، ولكن الله حماه منه، وردَّ كيد أبي جهل في نحره، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال أبو جهل: هل يعفِّر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: قيل: نعم. فقال: واللات والعزى، لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنَّ على رقبته، أو لأعفرنَّ وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو يصلي، زعم ليطأنَّ

على رقبته، قال: فما فجئهم (1) منه إلا وهو ينكص على عقبيه (2)، ويتقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار، وهولاً، وأجنحة، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً)). قال: فأنزل الله – عز وجل –: {كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى} إلى آخر السورة (3).
وقد عصم الله النبي – صلى الله عليه وسلم – من هذا الطاغية ومن غيره، وصبر على هذا الأذى العظيم ابتغاء وجه الله – تعالى –، فضحّى بنفسه وماله ووقته في سبيل الله تعالى.

الصورة الخامسة: وضع السَّلا على ظهره – صلى الله عليه وسلم –:
ومما أُصيب به محمد – صلى الله عليه وسلم – من الأذى ما رواه ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: بينما رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد

---

(1) ويقال أيضاً: فجأهم، أي بغتهم. انظر: شرح النووي، 17/ 140.
(2) يرجع يمشي إلى ورائه. انظر: المرجع السابق، 7/ 140.
(3) أخرجه مسلم في كتاب المنافقين، باب قوله تعالى: {كَلا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى} 4/ 2154، برقم 2797. وانظر: شرح النووي، 17/ 140.

نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سَلا (1) جزور بني فلان فيأخذه فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم (2) فأخذه، فلما سجد النبي – صلى الله عليه وسلم – وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، والنبي – صلى الله عليه وسلم – ساجد ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويرية، فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضى النبي – صلى الله عليه وسلم – صلاته، رفع صوته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً، ثم قال: ((اللهم عليك بقريش)) ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته، ثم قال: ((اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي مُعيط))، وذكر السابع ولم أحفظه، فوالذي بعث محمداً – صلى الله عليه وسلم – بالحق لقد رأيت الذين سمّى صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب، قليب بدر (3).

الصورة السادسة: مع عقبة
ومن أشد ما صنع به المشركون – صلى الله عليه وسلم – ما رواه البخاري في صحيحه عن

---

(1) السّلا: هو اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان، وهي من الآدمية: المشيمة. انظر: شرح النووي، 12/ 151.
(2) هو عقبة بن أبي مُعيط، كما صرح في رواية لمسلم في صحيحه، 3/ 1419.
(3) البخاري مع الفتح، في كتاب الوضوء، باب إذا أُلقيَ على ظهر المصلي قذر أو جيفة لم تفسد عليه صلاته، 1/ 349، برقم 240، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي – صلى الله عليه وسلم – من أذى المشركين والمنافقين، 2/ 1418، برقم 1794.

عروة بن الزبير – رضي الله عنه –، قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشدّ ما صنع المشركون برسول الله – صلى الله عليه وسلم –؟ قال: بينما رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر، فأخذ بمنكبه، ودفعه عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقال: {أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ} (1).
وقد اشتدّ أذى المشركين لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولأصحابه، حتى جاء بعض الصحابة إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يستنصره، ويسأل منه الدعاء والعون، ولكن النبي الحكيم واثق بنصر الله وتأييده، فإن العاقبة للمتقين.
عن خباب بن الأرتِّ – رضي الله عنه – قال: شكونا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو متوسِّد بردة له في ظل الكعبة، [ولقد لقينا من المشركين شِدّة]، فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: ((قد كان من قبلكم يُؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض فيُجعل فيها، فيُجاء بالمنشار فيُوضع على رأسه فيُجعل نصفين، ويُمشَّط بأمشاط الحديد [ما دون عظامه من لحم أو عصب]، فما يصدّه ذلك عن دينه، والله ليُتَمَّنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه،

---

(1) سورة غافر، الآية: 28.
والحديث في البخاري مع الفتح، في كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه من المشركين بمكة، 7/ 165، برقم 385، وكتاب التفسير، سورة المؤمن، 8/ 553،، باب، برقم 4815، وكتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً))، 7/ 22، برقم 3678. واللفظ ملفق من كتاب المناقب وكتاب التفسير.

ولكنكم تستعجلون)) (1).
وهكذا اشتدّ أذى قريش على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعلى أصحابه، وما ذلك كله إلا من أجل إعلاء كلمة الله، والصدع بالحق، والثبات عليه، والدعوة إلى التوحيد الخالص، ونبذ عادات الجاهلية وخرافاتها ووثنيتها.

الصورة السابعة: مع زوجة أبي لهب:
لقي النبي – صلى الله عليه وسلم – أشدّ الأذى، ووصل الأمر إلى تغيير اسمه – صلى الله عليه وسلم – احتقاراً له ولدينه، وحسداً وبُغضاً له، فقد كان المشركون من قريش من شدة كراهتهم للنبي – صلى الله عليه وسلم – لا يُسمّونه باسمه الدال على المدح فيعدلون إلى ضده، فيقولون: مُذمَّم، وإذا ذكروه بسوء قالوا: فعل الله بمذمم، ومذمم ليس هو اسمه ولا يعرف به، فكان الذي يقع منهم في ذلك مصروفاً إلى غيره بحمد الله تعالى (2).
قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش، ولعنهم؟! يشتمون مذمماً، ويلعنون مُذمماً، وأنا محمد)) (3).

---

(1) البخاري مع الفتح في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، 6/ 619، برقم 3612، وفي كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه من المشركين بمكة، 7/ 164، برقم3852، وفي كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، 12/ 315، برقم 6943، واللفظ من كتاب الإكراه، وما بين المعقوفين من مناقب الأنصار.
(2) انظر: فتح الباري، 6/ 558.
(3) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، 6/ 554، برقم 3533.

والنبي – صلى الله عليه وسلم – له خمسة أسماء ليس منها مُذَمَم (1).
جاءت أم جميل زوجة أبي لهب – حين سمعت ما أنزل الله فيها وفي زوجها من القرآن – إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو جالس في المسجد عند الكعبة، ومعه أبو بكر الصديق، وفي يدها ملء الكف من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر! أين صاحبك؟ قد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، أما والله إني لشاعرة، ثم قالت:
مُذَمَماً عصينا … … وأمره أبينا … … … ودينه قلينا (2)
استمر المشركون في إلحاق الأذى برسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبأصحابه الذين أسلموا وبعد أن زاد عدد المسلمين وكثر ازداد حنق المشركين على المسلمين، وبسطوا إليهم أيديهم وألسنتهم

بالسوء، ولما رأى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ذلك، ورأى أنه في حماية الله ثم عمه أبي طالب، وهو لا يستطيع أن يمنع المسلمين مما هم فيه من العذاب – فقد مات منهم من مات، وعُذّب من عُذّب حتى عمي وهو تحت العذاب – فأذن رسول الله لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة، فكان أهل هذه الهجرة الأولى اثني عشر رجلاً، وأربع نسوة، ورئيسهم عثمان بن عفان – رضي الله عنه –، ذهبوا فوفَّق الله لهم ساعة وصولهم إلى الساحل سفينتين، فحملوهم فيها إلى أرض الحبشة، وكان ذلك في رجب، في السنة الخامسة من البعثة، وخرجت قريش في

(1) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – 6/ 554،برقم 3532.
(2) انظر: سيرة ابن هشام،1/ 378،ومعنى قولها: قلينا: أي أبغضنا. انظر: تفسير ابن كثير، 4/ 523.

(1/46)

آثارهم حتى جاءوا البحر فلم يدركوا منهم أحداً، ثم بلغ هؤلاء المهاجرين أن قريشاً قد كفّوا عن النبي – صلى الله عليه وسلم – فرجعوا إلى مكة من الحبشة، وقبل وصولهم مكة بساعة من نهار بلغهم أن الخبر كذب، وأن قريشاً أشد ما كانوا عداوة لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – فدخل من دخل مكة بجوار، وكان من الداخلين ابن مسعود – رضي الله عنه –، ووجد أن ما بلغهم من إسلام أهل مكة كان باطلاً، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار – كابن مسعود –أو مستخفياً، ثم اشتد البلاء من قريش على من دخل مكة من المهاجرين وغيرهم، ولقوا منهم أذىً شديداً، فأذن لهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الخروج إلى الحبشة مرة ثانية، وكان عدد من خرج في هذه المرة الثانية ثلاثة وثمانين رجلاً، إن كان فيهم عمار بن ياسر، ومن النساء تسع عشرة امرأة، فكان المهاجرون في مملكة أصحمة النجاشي آمنين، فلما علمت قريش بذلك أرسلت للنجاشي بهدايا وتحف ليردّهم عليهم، فمنع ذلك عليهم، ورد عليهم هداياهم، وبقي المهاجرون في الحبشة آمنين حتى قدموا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عام خيبر (1).

الصورة الثامنة: حبسه – صلى الله عليه وسلم – في الشعب:
ولما رأت قريش انتشار الإسلام، وكثرة من يدخل فيه، وبلغها ما لقي المهاجرون في بلاد الحبشة، من: إكرام وتأمين، مع عودة وفدها خائباً، اشتد حنقها على الإسلام، وأجمعوا على أن يتعاقدوا على بني هاشم،

(1) انظر: زاد المعاد لابن القيم، 3/ 23، 36، 38، والرحيق المختوم، ص89، وهذا الحبيب يامحب، ص120، وسيرة ابن هشام، 1/ 343، والبداية والنهاية، 3/ 66، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، 2/ 98، 109، وتاريخ الإسلام للذهبي، قسم السيرة، ص183.

وبني عبد المطلب، وبني عبد مناف، وأن لا يبايعوهم، ولا يناكحوهم، ولا يكلموهم، ولا يجالسوهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وكتبوا بذلك صحيفة وعلّقوها في سقف الكعبة، فانحاز بنو هاشم، وبنو عبد المطلب مؤمنهم وكافرهم إلا أبا لهب، فإنه بقي مظاهراً لقريش على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعلى بني هاشم، وبني عبد المطلب.

وحُبِسَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في شعب أبي طالب ليلة هلال محرم، سنة سبع من البعثة، وبقوا محصورين محبوسين، مضيقاً عليهم جداً، مقطوعاً عنهم الطعام والماء نحو ثلاث سنين حتى بلغهم الجهد، وسُمِعَ أصوات صبيانهم بالبكاء من وراء الشعب، ثم أطلع الله رسوله على أمر الصحيفة، وأنه أرسل عليها الأرضة فأكلت جميع ما فيها من جور وقطيعة وظلم إلا ذكر الله – عز وجل –، فأخبر بذلك عمه، فخرج إلى قريش فأخبرهم أن محمداً قد قال كذا وكذا، فإن كان كاذباً خلينا بينكم وبينه، وإن كان صادقاً رجعتم عن قطيعتنا وظلمنا، قالوا: قد أنصفت، فأنزلوا الصحيفة، فلما رأوا الأمر كما أخبر به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ازدادوا كفراً إلى كفرهم، وخرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومن معه من الشعب بعد عشرة أعوام من البعثة، ومات أبو طالب بعد ذلك بستة أشهر، وماتت خديجة بعده بثلاثة أيام، وقيل غير ذلك (1).

ولما نُقِضَت الصحيفة وافق موت أبي طالب موت خديجة وبينهما زمن

---

(1) انظر: زاد المعاد، 3/ 30، وسيرة ابن هشام، 1/ 371، البداية والنهاية، 3/ 64، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، 2/ 109، 127، 128، وتاريخ الإسلام للذهبي، قسم السيرة، ص126، 137، والرحيق المختوم، ص112.

يسير، فاشتد البلاء على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من سفهاء قومه، وتجرؤوا عليه فكاشفوه بالأذى، فازدادوا غمّاً على غمٍّ حتى يئس منهم، وخرج إلى الطائف رجاء أن يستجيبوا لدعوته أو يؤووه أو ينصروه على قومه، فلم ير من يؤوي، ولم ير ناصراً، وآذوه مع ذلك أشد الأذى، ونالوا منه ما لم ينله قومه (1).

الصورة التاسعة: مع أهل الطائف:

في شوال، من السنة العاشرة بعد النبوة، خرج النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى الطائف لعله يجد في ثقيف حسن الإصغاء لدعوته والانتصار لها، وكان معه زيد بن حارثة مولاه، وكان في طريقه كلما مرَّ على قبيلة دعاهم إلى الإسلام، فلم تُجِبْه واحدة منها.

عندما وصل إلى الطائف عمد إلى رؤسائها فجلس إليهم، ودعاهم إلى الإسلام، فردوا عليه رداً

قبيحاً، وأقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بين أهل الطائف عشرة أيام، لا يدع أحداً من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا: اخرج من بلادنا، وأغروا به سفهاءهم وصبيانهم، فلما أراد الخروج تبعه هؤلاء السفهاء واجتمعوا عليه صَفَّين يرمونه بالحجارة، وبكلمات من السَّفه، ورجموا عراقيبه حتى اختضب نعلاه بالدماء، وكان زيد بن حارثة – رضي الله عنه – يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج في رأسه، ورجع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الطائف إلى مكة محزوناً، كسير القلب، وفي طريقه إلى مكة أرسل الله إليه جبريل ومعه ملك الجبال يستأمره أن يطبق الأخشبَيْن على أهل مكة،

(1) انظر: زاد المعاد، 3/ 31، والرحيق المختوم، ص113.

وهما جبلاها اللذان هي بينهما (1).

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله – صلى الله عليه وسلم –: يا رسول الله هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ فقال: ((لقد لقيت من قومك [ما لقيت]، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال (2)، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أسْتَفِق إلا بقرن الثعالب (3)، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني: فقال: إن الله – عز وجل – قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلم عليّ، ثم قال: يا محمد! إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك فما شئت (4)؟ إن شئت أن أُطْبِق عليهم الأخشبين)). فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً)) (5).

(1) انظر: زاد المعاد، 3/ 31، والرحيق المختوم، ص122، وهذا الحبيب يا محبّ، ص132، والبداية والنهاية، 3/ 135.

(2) ابن عبد ياليل بن كلال من أكابر أهل الطائف من ثقيف. الفتح، 6/ 315.

(3) وهو ميقات أهل نجد، ويقال له: قرن المنازل، ويعرف الآن بالسيل الكبير. انظر: الفتح، 6/ 315.

(4) استفهام، أي: فأمرني بما شئت. انظر: فتح الباري، 6/ 316.

(5) البخاري مع الفتح في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، 6/ 312، برقم 3231، ومسلم بلفظه في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي – صلى الله عليه وسلم – من أذى المشركين والمنافقين، 3/ 1420، برقم 1795، وما بين المعقوفين من البخاري دون مسلم.

وفي هذا الجواب الذي أدلى به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تتجلى شخصيته الفذة، وما كان عليه من الخلق العظيم الذي أمدّه الله به.

وفي ذلك بيان شفقته على قومه، ومزيد صبره وحلمه، وهذا موافق لقوله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ} (1)، وقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (2). فصلوات الله وسلامه عليه (3).

وأقام – صلى الله عليه وسلم – بنخلة أياماً، وصمّم على الرجوع إلى مكة، وعلى القيام باستئناف خطته الأولى في عرض الإسلام، وإبلاغ رسالة الله الخالدة، بنشاط جديد، وجدٍّ وحماسٍ، وحينئذ قال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك؟ فَرُوي عنه (4) أنه قال: ((يا زيد، إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإن الله ناصر دينه، ومظهر نبيه)).

ثم سار حتى وصل إلى مكة فأرسل رجل من خزاعة إلى مطعم بن عدي ليدخل في جواره، فقال مطعم: نعم، ودعا بنيه وقومه فقال: البسوا السلاح، وكونوا عند أركان البيت، فإني قد أجرت محمداً، فدخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومعه زيد بن حارثة حتى انتهى إلى المسجد الحرام، فقام المُطْعِمُ بن عدي على راحلته فنادى: يا معشر قريش إني قد أجرت محمداً فلا يهجه أحد منكم، فانتهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى الركن فاستلمه وصلى

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 159.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 107.

(3) انظر: البخاري مع الفتح، 6/ 316، والرحيق المختوم، ص124.

(4) انظر: زاد المعاد، لابن القيم، 3/ 33.

ركعتين، وانصرف إلى بيته، والمطعم بن عدي وولده محدقون به بالسلاح حتى دخل بيته (1).

وفي هذه المواقف العظيمة التي وقفها النبي – صلى الله عليه وسلم – في رحلته إلى الطائف دليل واضح على تصميمه الجازم في الاستمرار في دعوته، وعدم اليأس من استجابة الناس لها، وبَحْث عن ميدان جديد للدعوة، بعد أن قامت الحواجز دونها في الميدان الأول.

وفي ذلك دليل على أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان أستاذاً في الحكمة، وذلك؛ لأنه حينما قدم الطائف اختار الرؤساء وسادة ثقيف في الطائف وقد علم أنهم إذا أجابوه أجابت كل قبائل أهل الطائف.

وفي سيل الدماء من قدمي النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو النبي الكريم – أكبر مثل لما يتحمله الداعية في سبيل الله من أذى واضطهاد.

وفي عدم دعائه على قومه، وعلى أهل الطائف، وعدم موافقة ملك الجبال في إطباق الأخْشَبيْن على أهل مكة أكبر مثل لما يتحمله الداعية في صبره على من ردّ دعوته، وعدم اليأس من هدايتهم، فربما

يُخرِج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً.
ومن حكمته – صلى الله عليه وسلم – أنه لم يدخل مكة إلا بعد أن دخل في جوار المُطْعِم بن عدي، وهكذا ينبغي للداعية أن يبحث عمن يحميه من كيد أعدائه؛

---

(1) انظر: زاد المعاد، 3/ 33، وسيرة ابن هشام، 2/ 28، والبداية والنهاية، 3/ 137، والرحيق المختوم، ص125.

(1/52)

ليقوم بدعوته على الوجه المطلوب (1).

الصورة العاشرة: مع أهل الأسواق والمواسم:
باشر النبي – صلى الله عليه وسلم – دعوته في مكة بعد عودته من الطائف في شهر ذي القعدة سنة عشر من النبوة، فبدأ يذهب إلى المواسم التي تقام في الأسواق مثل: عكاظ، ومجنة، وذي مجاز، وغيرها، التي تحضرها القبائل العربية للتجارة والاستماع لما يُلقى فيها من الشعر، ويعرض نفسه على هذه القبائل يدعوها إلى الله – تعالى –، وجاء موسم الحج لهذه السنة فأتاهم قبيلة قبيلة يعرض عليهم الإسلام كما كان يدعوهم منذ السنة الرابعة من النبوة.
ولم يكتف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعرض الإسلام على القبائل فحسب، بل كان يعرضه على الأفراد أيضاً.
وكان – صلى الله عليه وسلم – يرغب جميع الناس بالفلاح، فعن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه، قال: أخبرني رجل يقال له: ربيعة بن عباد، من بني الديل، وكان جاهليّاً، قال: رأيت النبي – صلى الله عليه وسلم – في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: ((يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا))، والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه، أحول، ذو غديرتين، يقول: إنه صابئ كاذب، يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه، فذكروا لي نسب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقالوا: هذا عمه أبو لهب (2).

---

(1) انظر: السيرة النبوية دروس وعبر لمصطفى السباعي، ص58، وهذا الحبيب يا محبّ، ص134.
(2) أخرجه أحمد، 4/ 341، 3/ 492، وسنده حسن، وله شاهد عند ابن حبان، برقم 1683 (موارد) من حديث طارق بن عبد الله المحاربي، والحاكم في المستدرك بإسنادين، وقال عن الإسناد الأول: صحيح على شرط الشيخين، رواته كلهم ثقات أثبات، 1/ 15.

(1/53)

وقد كانت الأوس والخزرج يحجّون كما تحجّ العرب دون اليهود، فلما رأى الأنصار أحواله – صلى الله عليه وسلم – ودعوته، عرفوا أنه الذي تتوعدهم به اليهود، فأرادوا أن يسبقوهم؛ ولكنهم لم يبايعوا النبي – صلى الله عليه وسلم – في هذه السنة، ورجعوا إلى المدينة (1).

وفي موسم الحج من السنة الحادية عشرة من النبوة، عرض النبي – صلى الله عليه وسلم – نفسه على القبائل، وبينما الرسول – صلى الله عليه وسلم – يعرض نفسه، مر بعقبة مِنَى فوجد بها ستة نفر من شباب يثرب، فعرض عليهم الإسلام، فأجابوا دعوته، ورجعوا إلى قومهم وقد حملوا معهم رسالة الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (2).

ثم استدار العام وأقبل الناس إلى الحج في السنة الثانية عشرة من النبوة، وكان من بين حجاج يثرب اثنا عشر رجلاً، فيهم خمسة من الستة الذين كانوا قد اتصلوا برسول الله – صلى الله عليه وسلم – في العام السابق، والتقوا حسب الموعد مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عند العقبة بمنى، وبايعوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بيعة النساء (3).

---

(1) انظر: زاد المعاد، 3/ 43، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، 2/ 136، والرحيق المختوم، ص129، والبداية والنهاية، 3/ 149، وابن هشام، 2/ 31.

(2) انظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، 2/ 137، وهذا الحبيب يا محبّ، 2/ 145، والرحيق المختوم، ص132، وزاد المعاد، 3/ 45، وسيرة ابن هشام، 2/ 38، والبداية والنهاية، 3/ 149.

(3) انظر: زاد المعاد، 3/ 46، والرحيق المختوم، ص139، والتاريخ الإسلامي، 2/ 139، وهذا الحبيب يا محبّ، ص145، وسيرة ابن هشام، 2/ 38.

(1/54)

عن عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال وحوله عصابة من أصحابه: ((تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتانٍ تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروفٍ، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه فأمره إلى الله: إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه)) فبايعناه على ذلك (1).

وبعد أن انتهت المبايعة، وانتهى الموسم بعث النبي – صلى الله عليه وسلم – مع هؤلاء مصعب بن عمير – رضي الله عنه – ليعلّم المسلمين شرائع الإسلام؛ وليقوم بنشر الإسلام، وقد قام بذلك – رضي الله عنه – أتم قيام، وفي موسم الحج في السنة الثالثة عشرة من النبوة حضر لأداء الحج من يثرب ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان، وكلهم قد أسلموا.

فلما قدموا مكة واعدوا النبي – صلى الله عليه وسلم – عند العقبة، وجاءهم على موعدهم، ثم تكلم رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ثم قالوا: يا رسول الله، على ما نبايعك؟ فقال: ((تبايعوني على: السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم

(1) البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب وفود الأنصار إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – في مكة، 7/ 219، برقم 3892، وكتاب الإيمان، باب حدثنا أبو اليمان، 1/ 64، برقم 18.

(1/55)

مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة)) (1)، فقاموا إليه فبايعوه.
وبعد عقد هذه البيعة جعل عليهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – اثني عشر زعيماً، يكونون نقباء على قومهم، وكانوا تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، ثم رجعوا إلى يثرب، وعندما وصلوا أظهروا الإسلام فيها، ونفع الله بهم في الدعوة إلى الله تعالى (2).
وبعد أن تمت بيعة العقبة الثانية ونجح النبي – صلى الله عليه وسلم – في تأسيس وطن للإسلام، انتشر الخبر في مكة كثيراً، وثبت لقريش أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد بايع أهل يثرب، فاشتد أذاهم على من أسلم في مكة، فأمر النبي – صلى الله عليه وسلم – بالهجرة إلى المدينة، فهاجر المسلمون، فاجتمع قريش في السادس والعشرين من شهر صفر في السنة الرابعة عشرة من النبوة، وأجمعوا على قتل النبي – صلى الله عليه وسلم –، فأوحى الله إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – بذلك؛ ولحسن سياسته وحكمته أمر علياً أن يبيت في فراشه تلك الليلة، فبقي المشركون ينظرون إلى علي من صِير الباب (3)، وخرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ومرّ بأبي بكر، وهاجر إلى المدينة (4).

(1) أحمد في المسند، 3/ 322، والبيهقي، 9/ 9، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، 2/ 624، وحسن إسناده للحافظ في الفتح، 7/ 117.
(2) انظر: سيرة ابن هشام، 2/ 49، والبداية والنهاية، 3/ 158، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، 2/ 142، والرحيق المختوم، ص143.
(3) صير الباب: هو شق الباب. انظر: المعجم الوسيط، مادة ((صار)) 1/ 531.
(4) انظر: سيرة ابن هشام، 2/ 95، والبداية والنهاية، 3/ 175، وزاد المعاد، 3/ 54، والسيرة النبوية دروس وعبر لمصطفى السباعي، ص61، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، 2/ 148، وهذا الحبيب يا محبّ، ص156.

(1/56)

وهذه المواقف العظيمة التي وقفها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – دليل واضح على حكمة النبي – صلى الله عليه وسلم –،وعلى صبره، وشجاعته، وأنه – صلى الله عليه وسلم – حينما علم بأن قريشاً قد طغت، ورفضت الدعوة بحث عن مكان يتخذ فيه قاعدة للدعوة الإسلامية، ولم يكتف

بذلك، بل أخذ منهم البيعة والمعاهدة على نصرة الإسلام، وتم ذلك في مؤتمرين: بيعة العقبة الأولى، ثم الثانية، وعندما وجد مكان الدعوة الذي يتخذ قاعدة لها، ووجد أنصار الدعوة أذن بالهجرة لأصحابه، وأخذ هو بالأسباب عندما تآمرت عليه قريش، وهذا لا يعتبر جبناً، ولا فراراً من الموت؛ ولكن يعتبر أخذاً بالأسباب مع التوكل على الله تعالى، وهذه السياسة الحكيمة من أسباب نجاح الدعوة، وهكذا ينبغي أن يكون الدعاة إلى الله، فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – هو قدوتهم وإمامهم (1).

الصورة الحادية عشرة: جرح وجهه وكسرت رباعيته – صلى الله عليه وسلم –:

وعن سهل بن سعد – رضي الله عنه – أنه سُئِلَ عن جرح النبي – صلى الله عليه وسلم – يوم أحد فقال: جُرِحَ وجه النبي – صلى الله عليه وسلم – وكُسِرَت رباعيته، وهُشِمَت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة رضي الله عنها تغسل الدم، وعليٌّ – رضي الله عنه – يمسك، فلما رأت الدم لا يرتد إلا كثرة أخذت حصيراً فأحرقته حتى صار رماداً، ثم ألزقته فاستمسك الدم (2).

وقد حصل له هذا الأذى العظيم الذي ترتج لعظمته الجبال، هو نبي

---

(1) انظر: السيرة النبوية دروس وعبر، ص68.

(2) البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب لبس البيضة، 6/ 96، برقم 2911، ومسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة أحد، 3/ 1416، برقم 1790.

الله – صلى الله عليه وسلم – ولم يدع على قومه، بل دعا لهم بالمغفرة، لأنهم لا يعلمون.

فعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: كأني أنظر إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: ((اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)) (1).

فالأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– وعلى رأسهم محمد – صلى الله عليه وسلم – قد كانوا (2) على جانب عظيم من الحلم والتصبر، والعفو والشفقة على قومهم ودعائهم لهم بالهداية والغفران، وعذرهم في جنايتهم على أنفسهم بأنهم لا يعلمون (3)، قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((اشتد غضب الله على قوم فعلوا هذا برسول الله – صلى الله عليه وسلم –))، وهو حينئذ يشير إلى رباعيته، ((اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في سبيل الله – عز وجل –)) (4).

وفي إصابة النبي – صلى الله عليه وسلم – يوم أحد عزاء للدعاة فيما ينالهم في سبيل الله من أذى في أجسامهم، أو اضطهاد لحرياتهم، أو قضاء على حياتهم، فالنبي – صلى الله عليه وسلم –

---

(1) البخاري مع الفتح، كتاب الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان، 6/ 514، برقم 3477، وكتاب

استتابة المرتدين، باب حدثنا عمر بن حفص، 12/ 282، برقم 6929، وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب عزوة أحد، 3/ 1417، برقم 1792، وانظر: شرحه في الفتح، 6/ 521، وشرح النووي لصحيح مسلم، 12/ 148.
(2) انظر: شرح النووي لمسلم، 12/ 148.
(3) شرح النووي على مسلم 12/ 150 بتصرف.
(4) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي – صلى الله عليه وسلم – من جراح يوم أحد، 7/ 372، برقم 4073، ومسلم، كتاب الجهاد، باب: اشتداد غضب الله على من قتله رسول الله،
3/ 1417، برقم 1793.

(1/58)

هو القدوة قد أوذي وصبر (1).

المطلب الثاني: صور من شجاعته وإقدامه – صلى الله عليه وسلم –

لاشك أن الشجاعة صبر في ساحات القتال والوغى، وفيها ضبط النفس عن مثيرات الخوف حتى لا يجبن الإنسان في المواضع التي تحسن فيها الشجاعة ويقبح فيها الجبن ويكون شراً، ومن هذه الصور يجد الإنسان أن النبي – صلى الله عليه وسلم – خير قدوة وخير مثال في ذلك؛ ولهذا جاهد في سبيل الله: بالقلب، واللسان، والسيف، والسنان، والدعوة والبيان، فقد أرسل ستاً وخمسين سرية وقاد بنفسه سبعاً وعشرين غزوة، وقاتل في تسع من غزواته، ومن ذلك الصور الآتية (2):

الصورة الأولى: شجاعته – صلى الله عليه وسلم – في معركة بدر الكبرى:

من مواقفه التي تزخر بالحكمة في هذه الغزوة أنه – صلى الله عليه وسلم – استشار الناس قبل بدء المعركة؛ لأنه – صلى الله عليه وسلم – يريد أن يعرف مدى رغبة الأنصار في القتال؛ لأنه شُرِطَ له في البيعة أن يمنعوه في المدينة مما يمنعون منه أنفسهم وأموالهم وأبناءهم وأزواجهم، أما خارج المدينة فلم يحصل أي شرط، فأراد – صلى الله عليه وسلم – أن يستشيرهم، فجمعهم – صلى الله عليه وسلم – واستشارهم، فقام أبو بكر – رضي الله عنه – فقال وأحسن، ثم عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فقال وأحسن، ثم استشارهم ثانياً، فقام المِقْدَاد فقال: يا رسول الله، امض لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا

---

(1) السيرة النبوية دروس وعبر، ص116.
(2) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم،12/ 436،والحكمة في الدعوة إلى الله تعالى للمؤلف، ص172.

(1/59)

ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، [نقاتل عن يمينك، وعن شمالك، ومن بين يديك، ومن خلفك، ثم استشار الناس ثالثاً، ففهمت الأنصار أنه يعنيهم، فبادر سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله كأنك تريدنا]، وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يعنيهم، لأنهم بايعوه على أن يمنعوه من الأحمر والأسود في ديارهم، فلما عزم على الخروج استشارهم؛ ليعلم ما عندهم، فقال له سعد: لعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقاً عليها أن لا ينصروك إلا في ديارها، وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم: فاظعن حيث شئت، وصِلْ حَبْل من شئت، واقطع حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرتنا فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك، فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرنَّ معك، والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فَخُضْتَهُ لخضناه معك، ما تخلّف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدواً غداً، إنا لَصُبُرٌ في الحرب، صُدقٌ في اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقرّ به عينك، فسر بنا على بركة الله، فأشرق وجه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسُرَّ بما سمع، ونشَّطه ذلك، ثم قال: ((سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، ولكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم)) (1).

---

(1) سيقت هذه القصة بالمعنى، وانظر: سيرة ابن هشام، 2/ 253، وفتح الباري، 7/ 287، وزاد المعاد، 3/ 173، والرحيق المختوم، ص200، وقد أخرج البخاري مواضع منها. انظر: البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ}، 7/ 287، برقم 3952، وكتاب التفسير، 8/ 273، وأخرج مسلم بعض المواضع من القصة. انظر: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر، 3/ 1403، برقم 1779، وانظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، 2/ 194.

(1/60)

ومن مواقفه العظيمة في بدر: اعتماده على ربه – تبارك وتعالى – لأنه قد علم أن النصر لا يكون بكثرة العدد ولا العدة، وإنما يكون بنصر الله – عز وجل – مع الأخذ بالأسباب والاعتماد على الله – سبحانه وتعالى –.

عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله – صلى الله عليه وسلم – القبلة، ثم مدَّ يديه، فجعل يهتف بربه (1): ((اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض))، فمازال يهتف بربه، مادّاً يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه،

وقال: يا نبي الله كفاك مناشدة ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله – عز وجل –: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ} (2) فأمدّه الله بالملائكة (3). وقد خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من العريش وهو يقول: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ} (4).

---

(1) يهتف بربه، أي: يصيح ويستغيث بالله بالدعاء. انظر: شرح النووي، 12/ 84.
(2) سورة الأنفال، الآية: 9.
(3) أخرجه مسلم بلفظه في كتاب الجهاد والسير والمغازي، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، 3/ 1383،برقم 1763،والبخاري مع الفتح بمعناه مختصراً، في كتاب المغازي، باب قوله تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ}،7/ 287،برقم 3953،وانظر: الرحيق المختوم، ص208.
(4) سورة القمر، الآية: 45، والحديث في البخاري مع الفتح، 7/ 287.

(1/61)

وقاتل – صلى الله عليه وسلم – في المعركة، وكان من أشدِّ الخلق وأقواهم وأشجعهم، ومعه أبو بكر – رضي الله عنه – كما كانا في العريش يُجاهِدان بالدعاء والتضرع، ثم نزلا فحرضا، وحثا على القتال، وقاتلا بالأبدان جمعاً بين المقامين الشريفين (1).
وكان أشجع الناس الرسول – صلى الله عليه وسلم –، فعن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – قال: ((لقد رأَيْتُنَا يوم بدر، ونحن نلوذ برسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً)) (2).
وعنه – رضي الله عنه – قال: ((كنا إذا حمي البأس، ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلا يكون أحدنا أدنى إلى القوم منه)) (3).

الصورة الثانية: شجاعته – صلى الله عليه وسلم – في غزوة أحد:

من مواقفه في الشجاعة أيضاً، وصبره على أذى قومه ما فعله – صلى الله عليه وسلم – في غزوة أحد، فقد كان يقاتل قتالاً عظيماً؛ فإن الدولة كانت أول النهار للمسلمين على المشركين، فانهزم أعداء الله وولّوا مدبرين حتى انتهوا إلى نسائهم، فلما رأى الرماة هزيمتهم تركوا مركزهم الذي أمرهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بحفظه، وذلك أنهم ظنوا أنه ليس للمشركين رجعة، فذهبوا في طلب الغنيمة، وتركوا الجبل فكرّ فرسان المشركين فوجدوا الثغر خالياً قد خلا من الرُّماة فجازوا منه، وتمكنوا حتى أقبل آخرهم فأحاطوا بالمسلمين، فأكرم الله من أكرم منهم بالشهادة، وهم سبعون، وتولَّى الصحابة،

---

(1) انظر: البداية والنهاية، 3/ 278.
(2) أخرجه أحمد في المسند، 1/ 86، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، 2/ 143.

(3) الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي،2/ 143،وعزاه ابن كثير في البداية والنهاية،3/ 279،إلى النسائي.

(1/62)

وخلص المشركون إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فجرحوا وجهه، وكسروا رباعيَّته اليمنى، وكانت السفلى، وهشموا البيضة على رأسه، وقاتل الصحابة دفاعاً عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (1).

وكان حول النبي – صلى الله عليه وسلم – رجلان من قريش، وسبعة من الأنصار، فقال – صلى الله عليه وسلم – لما رهقوه، وقربوا منه: ((من يردّهم عنَّا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة))، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتِلَ، ثم رهقوه أيضاً فقال: ((من يردّهم عنَّا وله الجنة))،فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتِلَ، فلم يزل كذلك حتى قُتِلَ السبعة، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لصاحبيه: ((ما أنصفنا أصحابنا)) (2).

وعندما اجتمع المسلمون، ونهضوا مع النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى الشعب الذي نزل فيه، وفيهم أبو بكر، وعمر، وعلي، والحارث بن الصّمة الأنصاري وغيرهم، فلما استندوا إلى الجبل أدرك رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – أُبَيُّ بن خلف، وهو على جواد له، ويقول: أين محمد، لا نجوت إن نجا؟ فقال القوم: يا رسول الله، أيعطف عليه رجل منا، فأمرهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بتركه، فلما دنا منه تناول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الحربة من الحارث بن الصمة، فلما أخذها منه انتفض انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله وأبصر ترقوته من فرجةٍ بين سابغة الدرع والبيضة، فطعنه فيها طعنة تدحرج منها عن فرسه مراراً، فلما رجع عدو الله إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير ... قال: قتلني والله محمد، فقالوا له: ذهب والله فؤادك والله إن بك من بأس، قال: إنه قد قال لي بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بصق

---

(1) انظر: زاد المعاد، 3/ 196، 199، والرحيق المختوم، ص255، 256.
(2) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، 3/ 1415، برقم 1789.

(1/63)

عليَّ لقتلني، فمات عدو الله بسرف، وهم قافلون إلى مكة (1).

الصورة الثالثة: شجاعته – صلى الله عليه وسلم – في معركة حنين

بعد أن دارت معركة حنين والتقى المسلمون والكفار، ولَّى المسلمون مدبرين (2)، فطفق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يركض بغلته قِبَلَ الكفار ... ثم قال: ((أي عباس، ناد أصحاب السمرة))

فقال عباس– وكان رجلاً صيِّتاً–: فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة؟ قال: فوالله لكأن عَطْفَتهم حين سمعوا صوتي عَطْفَة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك، يا لبيك، قال: فاقتتلوا والكفار ... فنظر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال – صلى الله عليه وسلم –: ((الآن حمي الوطيس)) (3).
وظهرت شجاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – التي لا نظير لها في هذا الموقف الذي عجز عنه عظماء الرجال (4).
وسئل البراء، فقال له رجل: يا أبا عمارة، أكنتم وليتم يوم حنين؟ قال: لا والله ما ولّى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ولكنه خرج شبان أصحابه (5)

---

(1) انظر: زاد المعاد، لابن القيم، 3/ 199، والرحيق المختوم، ص263، وروى قصة قتل النبي – صلى الله عليه وسلم – لأبي بن خلف: أبو الأسود عن عروة بن الزبير, والزهري عن سعيد بن المسيب. انظر: البداية والنهاية لابن كثير،4/ 32،وكلاهما مرسل، والطبري،2/ 67،وانظر: فقه السيرة لمحمد الغزالي، ص226.
(2) كان مع النبي – صلى الله عليه وسلم – في هذه الغزوة ألفان من أهل مكة، مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه من المدينة ففتح بهم. انظر: زاد المعاد، 3/ 468.
(3) مسلم، في كتاب الجهاد والسير، باب: غزوة حنين، وقد اختصرت ألفاظه،3/ 1398،برقم 1775.
(4) انظر: الرحيق المختوم، ص401، وهذا الحبيب يا محب، ص408.
(5) جمع شباب. شرح النووي لمسلم، 12/ 117.

وأخفاؤهم (1) حسراً (2) ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح، فلقوا قوماً رماة لا يكاد يسقط لهم سهم، جمع هوازن، وبني نصر، فرشقوهم رشقاً (3)،ما يكادون يخطئون، فانكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأبو سفيان بن الحارث يقود بغلته، فنزل ودعا واستنصر وهو يقول:

أنا النبيُّ لا كَذِبْ ... أنا ابنُ عبدِ المطّلبْ
اللهم نزِّل نصرك (4)

قال البراء: كُنَّا والله إذا احمرّ البأس (5) نتَّقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به، يعني النبي – صلى الله عليه وسلم – (6).
وفي رواية لمسلم عن سلمة قال: مررت على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – منهزماً (7)، وهو على بغلته الشهباء، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((لقد رأى ابن الأكوع فزعاً)). فلما

غشوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب

---

(1) جمع خفيف، وهم المسارعون المستعجلون. شرح النووي لمسلم، 12/ 117.
(2) حسراً: جمع حاسر، أي بغير دروع، وقد فسره بقوله: ليس عليهم سلاح. شرح النووي لمسلم،12/ 117.
(3) رشقا: هو بفتح الراء، وهو مصدر، وأما الرشق بالكسر فهو اسم للسهام التي ترميها الجماعة دفعة واحدة. انظر: شرح النووي، 12/ 118.
(4) مسلم، في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، مع التصرف في بعض الكلمات، 3/ 1400، برقم 1776، والبخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب من صف أصحابه عند الهزيمة ونزل عن دابته فاستنصر،6/ 150، برقم 2929، 8/ 27، 28، برقم 4317.
(5) إذا احمر البأس: كناية عن شدة الحرب، واستعير ذلك لحمرة الدماء الحاصلة فيها في العادة. انظر: شرح النووي، 12/ 121.
(6) رواه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، 3/ 1401، برقم 1776.
(7) قال العلماء: قوله: ((منهزماً)) حال من ابن الأكوع، وليس النبي – صلى الله عليه وسلم –. انظر: شرح النووي، 12/ 122.

(1/65)

من الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال: ((شاهت الوجوه)) (1)، فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة، فولَّوْا مدبرين، فهزمهم الله، وقسم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – غنائمهم بين المسلمين (2).
وقد قال العلماء: إن ركوب النبي – صلى الله عليه وسلم – البغلة في موضع الحرب، وعند اشتداد البأس هو النهاية في الشجاعة والثبات؛ ولأنه أيضاً يكون معتمداً يرجع الناس إليه، وتطمئن قلوبهم به وبمكانه، وإنما فعل هذا عمداً، وإلا فقد كانت له – صلى الله عليه وسلم – أفراس معروفة.
ومما يدلّ على شجاعته تقدمه – صلى الله عليه وسلم – وهو يركض بغلته إلى جمع المشركين، وقد فرَّ الناس عنه، ونزوله إلى الأرض حين غشوه مبالغة في الشجاعة والصبر، وقيل: فعل ذلك مواساة لمن كان نازلاً على الأرض من المسلمين، وقد أخبر الصحابة – رضي الله عنهم – بشجاعته – صلى الله عليه وسلم – في جميع المواطن (3).

الصورة الرابعة: شجاعته – صلى الله عليه وسلم – في الحماية لأصحابه:
روى البخاري ومسلم، عن أنس – رضي الله عنه – قال: كان النبي – صلى الله عليه وسلم – أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، ولقد فَزِعَ أهل المدينة ذات ليلةٍ، فانطلق الناس قِبَلَ الصوت، فاستقبلهم النبي – صلى الله عليه وسلم – قد سبق الناس إلى الصوت، وهو يقول: ((لم تراعوا، لم تراعوا))،وهو على فرس لأبي طلحة عري ما

(1) شاهت الوجوه، أي: قبحت. انظر: شرح النووي، 12/ 122.
(2) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين،3/ 1402، برقم 1777.
(3) انظر: شرح النووي على مسلم، 12/ 114.

(1/66)

عليه سرج، في عنقه سيف، فقال: ((لقد وجدته بحراً، أو إنه لبحر)) (1).
وهذا المثال وغيره من الأمثلة السابقة تدل دلالة واضحة على أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أشجع إنسان على الإطلاق، فلم يكتحل الوجود بمثله – صلى الله عليه وسلم –، وقد شهد له بذلك الشجعان الأبطال (2).
قال البراء – رضي الله عنه –: ((كنا والله إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به، يعني النبي – صلى الله عليه وسلم –)) (3).
وقال أنس في الحديث السابق: ((كان النبي – صلى الله عليه وسلم – أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس ...)) (4).

الصورة الخامسة: شجاعته – صلى الله عليه وسلم – العقلية:
كانت هذه الشواهد السابقة لشجاعته القلبية، أما شجاعته العقلية فسأكتفي بشاهدٍ واحدٍ؛ فإنه يكفي عن ألف شاهد ويزيد، وهو موقفه من تعنّت سهيل بن عمرو، وهو يملي وثيقة صلح الحديبية، إذْ تنازل – صلى الله عليه وسلم – عن كلمة ((بسم الله الرحمن الرحيم)) إلى باسمك اللهم، وعن كلمة

(1) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل، 10/ 455، برقم 2908، ومسلم، كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – وتقدمه للحرب، 4/ 1802، برقم 2307.
(2) انظر: رواية علي بن أبي طالب في شجاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – في مسند أحمد 1/ 86، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، 2/ 143.
(3) أخرجه مسلم، 3/ 1401، برقم 1776، وتقدم تخريجه.
(4) انظر: البخاري، برقم 2908، ومسلم، برقم 2307، وتقدم تخريجه.

(1/67)

((محمد رسول الله)) إلى كلمة: محمد بن عبد الله، وقبوله شرط سهيل على أن لا يأتي النبي – صلى الله عليه وسلم – رجل من قريش حتى ولو كان مسلماً إلاّ ردّه إلى أهل مكة، وقد استشاط الصحابة غيظاً، وبلغ الغضب حدًّا لا مزيد عليه، وهو – صلى الله عليه وسلم – صابر ثابت حتى انتهت الوثيقة، وكان بعد أيام فتحاً مبيناً.

فضرب – صلى الله عليه وسلم – بذلك المثل الأعلى في الشجاعتين: القلبية، والعقلية، مع بُعد النظر، وأصالة الرأي، وإصابته؛ فإن من الحكمة أن يتنازل الداعية عن أشياء لا تضرّه بأصل قضيته لتحقيق أشياء أعظم منها (1).

وجميع ما تقدم من نماذج من شجاعته – صلى الله عليه وسلم – وثباته، وهذا نقطة من بحر، وإلا فإنه لو كُتِبَ في شجاعته – صلى الله عليه وسلم – بالاستقصاء لكُتِب مجلدات، فيجب على كل مسلم، وخاصة الدعاة إلى الله – عز وجل – أن يتخذوا الرسول – صلى الله عليه وسلم – قدوةً في كل أحوالهم وتصرفاتهم، وبذلك يحصل الفوز والنجاح، والسعادة في الدنيا والآخرة، {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيرًا} (2).

المطلب الثالث: صور من صبر الصحابة – رضي الله عنهم –

الصحابة – رضي الله عنهم – لهم مواقف كثيرة جدًّا لا يستطيع أحد أن يحصرها؛ لأنهم – رضي الله عنهم – باعوا أنفسهم، وأموالهم وحياتهم لله، ابتغاء مرضاته، وخوفاً من

---

(1) انظر: وثيقة صلح الحديبية كاملة في البخاري مع الفتح، 5/ 329، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، برقم 4180، 4181، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، برقم 1873، وشرح الوثيقة في الفتح، 5/ 333 – 352، ومسند أحمد، 4/ 328 – 331، وانظر: هذا الحبيب يا محبّ، ص532.

(2) سورة الأحزاب، الآية: 21.

عقابه، ففازوا بسعادة الدنيا والآخرة.

ومن درس حياتهم، ونظر إلى تطبيقاتهم للإسلام قولاً، وعملاً، واعتقاداً ازداد إيماناً، وأحبهم؛ فيحصل له بذلك محبة الله تعالى.

الصورة الأولى: صبر بلال:

بلال بن رباح – رضي الله عنه – كان يعذبه أمية بن خلف على توحيده وإيمانه بالله – تعالى – وقد عذّبه أشد العذاب، ومن ذلك أن أمية كان يُخرِجُ بلالاً إذا حميت الشمس في الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصّخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو في ذلك البلاء: أَحدٌ

أحدٌ، فمر به أبو بكر فاشتراه. وهذه الكلمة التي زعزعت كيان أمية بن خلف (1).

الصورة الثانية: صبر آل ياسر:

وهذا عمار بن ياسر، وأبوه ياسر، وأمه سُميّة – رضي الله عنهم – يُعذبون أشد العذاب من أجل إيمانهم بالله – تعالى –، فلم يردَّهم ذلك العذاب عن دينهم؛ لأنهم صدقوا مع الله فصدقهم الله – تعالى – ولهذا قيل لهم: ((صبراً آل ياسر؛ فإن موعدكم الجنة)) (2) فرضي الله عنهم وأرضاهم (3).

---

(1) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة،1/ 165،وسيرة ابن هشام،1/ 340،وسير أعلام النبلاء، 1/ 37.

(2) الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، 3/ 388، وانظر: مجمع الزوائد، 9/ 293، وقال: ((رجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوم))، وانظر: الإصابة، 2/ 512.

(3) انظر: سير أعلام النبلاء، 1/ 406، والإصابة، 2/ 512، وسيرة ابن هشام، 1/ 342.

(1/69)

الصورة الثالثة: صبر صُهيب:

وهذا صُهيب الرومي – رضي الله عنه – أراد الهجرة فمنعه كفار قريش أن يُهاجر بماله، وإن أحب يتجرّد من ماله كلّه ويدفعه إليهم تركوه وما أراد، فأعطاهم ماله ونجا بدينه مهاجراً إلى الله ورسوله، وأنزل الله – عز وجل –: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ} (1)، فتلقاه عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وجماعة إلى طرف الحرة فقالوا له: ربح البيع. فقال: وأنتم فلا أخسر الله تجارتكم، وما ذاك؟ فأخبروه أن الله أنزل فيه هذه الآية (2).

الصورة الرابعة: صبر أبي سلمة وزوجته:

وهذا عبد الله بن عبد الأسد أبو سلمة وزوجته أم سلمة رضي الله عنهما يصبران على البلاء العظيم ويقفان الموقف الحكيم الذي يدل على صدقهما مع الله (3).

كان أبو سلمة أول من هاجر من مكة إلى المدينة، قبل العقبة الثانية بسنة تقريباً.

بعد أن رجع أبو سلمة وزوجته أم سلمة من الهجرة إلى الحبشة آذته قريش، وعلم بإسلام من أسلم من الأنصار، فقرر الهجرة إلى المدينة –

---

(1) سورة البقرة، الآية: 207.

(2) انظر: تفسير ابن كثير، 1/ 248، وسير أعلام النبلاء، 2/ 17 – 26، والإصابة، 2/ 195.

(3) انظر: سير أعلام النبلاء، 1/ 150، والإصابة في تمييز الصحابة، 2/ 335، والبداية والنهاية لابن كثير، 4/ 90.

فراراً بدينه – فحمل زوجته أم سلمة، وابنهما سلمة وقاد بهما راحلته وخرج متجهاً إلى المدينة وقبل أن يخرج من مكة لحقه رجال من بني مخزوم فقالوا له: هذه نفسك غلبتنا عليها أرأيتك صاحبتك هذه عَلامَ نتركك تسير بها في البلاد؟ ونزعوا خطام البعير من يده، وأخذوا الراحلة وعليها أم سلمة وابنه سلمة، وغضب لذلك رجال من بني عبد الأسد وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذا نزعتموها من بني صاحبنا فتجاذب بنو مخزوم وبنو عبد الأسد الطفل حتى خُلِعَت يده، وأخذه بنو عبد الأسد وحبس بنو المغيرة أم سلمة عندهم، وانطلق أبو سلمة إلى المدينة هارباً بدينه. قالت أم سلمة: ففرَّقوا بيني وبين زوجي وبيني وبين ابني، فكنت أخرج كل غداة إلى الأبطح فما أزال أبكي حتى أمسي، وذلك سنة أو قريباً منها حتى مرّ بي رجل من بني عمي – أحد بني المغيرة – فرأى ما بي فرحمني، فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة فرقتم بينها وبين زوجها، وبينها وبين ولدها؟ قالت: فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت، قالت: وردّ بنو عبد الأسد عند ذلك ابني فارتحلت ببعيري ثم أخذت ابني فوضعته في حجري ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة وما معي أحد من خلق الله (1).

الله أكبر ما أعظم هذا الموقف وما أحكمه: فقد ترك أبو سلمة زوجته وابنه، وماله، وهاجر بنفسه تاركاً نصفه وراءه من أجل دينه ويتجاذب بنو عبد الأسد وبنو المغيرة بن أم سلمة، ويخلعون يده وهي تنظر، وتحبس

---

(1) انظر: سيرة ابن هشام، 2/ 77، والبداية والنهاية، 3/ 169، والرحيق المختوم، ص150، وهذا الحبيب يا محبّ، ص151.

من أجل دينها، وتبكي كل يوم في الأبطح سنة أو قريباً منها، إنه موقف عظيم وبلاء كبير أسفر عن قوة الإيمان والصدق مع الله، فنسأل الله العافية في الدنيا والآخرة، ورضي الله عن أبي سلمة وزوجته وأرضاهما، فقد جاهدا في الله، وأُوذيا في الله، وصبرا في الله، والله المستعان.

الصورة الخامسة: صبر عبد الله بن حذافة:

وعندما ينظر الإنسان في موقف عبد الله بن حذافة بن قيس – رضي الله عنه – عندما حاول ملك الروم أن يصدّه عن دينه يرى الموقف الحكيم، والرجل العظيم!

وجَّه عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – جيشاً إلى الروم، فأسروا عبد الله بن حذافة، فذهبوا به إلى مَلِكِهم، فقالوا: إن هذا من أصحاب محمد. فقال: هل لك أن تتنصَّر وأُعطيك نصف ملكي؟ قال: لو أعطيتني جميع ما تملك، وجميع ما تملك، وجميع ملك العرب، ما رجعت عن دين محمد – صلى الله عليه وسلم – طرفة عين، قال: إذاً أقتلك. قال: أنت وذاك، فأُمِرَ به فصُلِبَ وقال للرماة: ارموه

قريباً من بدنه، وهو يعرض عليه ويأبى ولم يجزع، فأنزله، وأمر بقدر فصُبَّ فيه ماء وأُغليَ عليه حتى احترقت، ودعا بأسيرَيْنِ من المسلمين، فأمر بأحدهما، فأُلقي فيها فإذا عظامه تلوح، وهو يعرض عليه النصرانية وهو يأبى، فأمر بإلقائه في القدر إن لم يتنصّر، فلما ذهبوا به بكى، فقيل للمَلِك: إنه بكى، فظن أنه قد جزع، فقال: رُدُّوه، فقال: ما أبكاك؟ قال: قلت هي نفس واحدة تُلقى الساعة فتذهب فكنت أشتهي أن يكون بعدد شعري أنفس تُلقى في النار في الله، فتعجب الطاغية فقال

(1/72)

له: هل لك أن تُقبّل رأسي وأُخلِّي عنك؟ فقال له عبد الله: وعن جميع أسارى المسلمين؟ قال: نعم، فقبّل رأسه، فخلّى عنهم، وقدم بالأسارى على عمر، فأخبره خبره. فقال عمر: حقٌّ على كلِّ مسلم أن يُقبِّل رأس عبد الله بن حذافة، وأنا أبدأ. فقبَّل رأسه (1).

هذا موقف عظيم حكيم؛ فإن عبد الله – رضي الله عنه – ثبت على دينه، ولم يقبل سواه، ولو أُعطي ملك كسرى ومثله معه، وملك العرب جميعاً، ثم لصدقه مع الله لم يجزع من الرّماة عندما رموه وهو مصلوب، ولم يجزع من القِدْرِ والماء المغليّ وقد رأى من يُلقى في النار من الأسرى وعظامه تلوح، ومع ذلك تمنَّى أن يكون له عدد شعره من الأنفس تعذب في الله ومن أجل الله، وعندما رأى أن المصلحة عامة لجميع الأسرى قبَّل رأس الطاغية؛ لكي يخرج المسلمين من الأسر، وهذا من أعظم الحكم العظيمة. فرضي الله عن عبد الله بن حُذافة وأرضاه.

الصورة السادسة: صبر خبيب:

ومن هذه المواقف العظيمة التي تدل على قوة الإيمان والرغبة فيما عند الله والدار الآخرة، ما فعله الصحابي الجليل: خبيب بن عدي بن عامر – رضي الله عنه – عندما أسرته كفار قريش وعذبته فثبت حتى قُتِلَ شهيداً – رضي الله عنه –.

قالت بعض بنات الحارث بن عامر: والله ما رأيت أسيراً قطُّ خيراً من خبيب والله لقد وجدته يوماً يأكل قِطفاً من عنبٍ في يده وإنه لمُوثَقٌ بالحديد وما بمكة من ثمرة. وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيباً. فلما

---

(1) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، 2/ 14، والإصابة في تمييز الصحابة، 2/ 269.

(1/73)

خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيبٌ: دعوني أصلي ركعتين فتركوه فركع ركعتين فقال والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزعٌ لزدت. ثم قال: اللهم أحصهم عدداً, واقتلهم بَدَداً، ولا تبق منهم أحداً، ثم أنشأ يقول:

فلستُ أُبالي حين أقتلُ مسلماً ... على أيِّ جنب كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يُبارك على أوصالِ شِلوٍ ممزّعِ

ثم قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله، وكان خبيب هو الذي سن لكلِّ مسلم قُتِلَ صبراً الصلاة (1).

الصورة السابعة: صبر سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه –:
وهذا سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – تَعْرض أمه عليه أن يكفر بدين محمد – صلى الله عليه وسلم –، وحلفت أن لا تكلمه، ولا تأكل ولا تشرب حتى تموت فيعيّر بها، فيقال: يا قاتل أمه! وقالت له: زعمت أن الله وصاك بوالديك، وأنا أمك، وأنا آمرك بهذا. قال سعد: لا تفعلي يا أُمّه إني لا أدع ديني هذا لشيء. فبقيت ثلاثة أيام لا تأكل ولا تشرب، فلما رأى سعد بن أبي وقاص ذلك منها قال لها: يا أُمّه، تعلمين والله لو كان لك مائة نفسٍ، فخرجت نفساً نفساً، ما تركت ديني، إن شئتِ فكلي أو لا تأكلي. فلما رأت ذلك أكلت (2). قال

---

(1) البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب هل يستأسر الرجل ومن لم يستأسر، ومن ركع ركعتين عند القتل، 6/ 166، برقم 3045، وكتاب المغازي، باب حدثني عبد الله بن محمد الجعفي، 7/ 308، برقم 3989، 7/ 378، 13/ 381، وانظر: سير أعلام النبلاء، 1/ 246.
(2) انظر: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل سعد بن أبي وقاص، 4/ 1877، برقم 1748، مختصراً بمعناه، وأحمد، 1/ 181 – 182، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة العنكبوت، 5/ 341، برقم 3189، وانظر: سير أعلام النبلاء، 1/ 109.

سعد – رضي الله عنه –: نزلت هذه الآية فيّ: {وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} (1)، وقد جعل الله سعداً مستجاب الدعوة لدعوة النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((اللهم استجب لسعد إذا دعاك)) (2).

الصورة الثامنة: صبر أم حبيبة أم المؤمنين رضي الله عنها:
ومن ذلك ما فعلته أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان؛ أم المؤمنين رضي الله عنها، وذلك أن أباها قدم من مكة إلى المدينة يريد أن يزيد في الهدنة بينه وبين الرسول – صلى الله عليه وسلم –، فلما دخل على بنته أم حبيبة رضي الله عنها وذهب ليجلس على فراش رسول الله – صلى الله عليه وسلم – طوته دونه، فقال: يا بنية أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه؟ قالت: بل هو فراش رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأنت امرؤ نجس مشرك، فقال: والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر (3)، قلت: والله لم

يصبها إلا قوة الإيمان ومحبة الله ورسوله، فقدَّمت محبة الله ورسوله على محبة والدها المشرك ولم ترضَ أن يجلس المشرك على فراش رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فرضي الله عن أم المؤمنين؛ فإنها لم تأخذها في الله لومة لائم، وهذا من أعظم الحكم.
والصحابة – رضي الله عنهم جميعاً – رجالاً ونساءً، كانت أعمالهم وحياتهم، ومماتهم لله لا يريدون، ولا يرغبون إلا ما يرضيه – تعالى –

---

(1) سورة لقمان، الآية: 15.
(2) الترمذي في كتاب المناقب، باب مناقب سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه –، **5/ 649**، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، **3/ 498**، وسنده صحيح. انظر: سير أعلام النبلاء، **1/ 111**.
(3) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، **4/ 306**، وعزاه بإسناده إلى ابن سعد. وانظر أيضاً: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، **3/ 135**.

(1/75)

حتى ولو كان ذلك ببذل أحبّ الأشياء إليهم.

الصورة التاسعة: صبر أنس بن النضر:
عن أنس – رضي الله عنه – قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: يارسول الله غبتُ عن أول قتال قاتلتَ فيه المشركين، والله لئن أشهدني الله قتال المشركين ليريَنّ الله ما أصنع. فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء – يعني المسلمين –، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء –يعني المشركين–، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: أي سعد والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة دون أحد، فقاتلهم حتى قتل. قال أنس: فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة: من بين ضربة بسيف وطعنة برمح، ورمية بسهم وقد مَثَّلوا به، فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه. ونزلت هذه الآية: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا} (1). قال فكنا نقول: نزلت هذه الآية فيه وفي أصحابه (2).

الصورة العاشرة: صبر عمير بن الحُمَام:
ويدل على رغبة الصحابة – رضي الله عنهم – فيما عند الله ما فعل عُمير بن الحُمام في

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: 23.
(2) البخاري مع الفتح في كتاب الجهاد، باب قول الله – عز وجل –: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا}، **6/ 21**، برقم **2805**،

7/ 354، برقم 4048. وانظر: البخاري مع الفتح، 8/ 518، برقم 4783، والبداية والنهاية، 4/ 31 – 34، والإصابة في تمييز الصحابة، 1/ 74، وهذا الحبيب يا محب، ص269.

(1/76)

بدر حينما سمع رسول الله يقول لأصحابه: ((قومُوا إلى جَنّةٍ عرضُهَا السّموات والأرضُ)) فقال: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: ((نعم)). قال: بخ بخ (1)، فقال – صلى الله عليه وسلم –: ((ما يحملك على قولك بخ بخ؟))، قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: ((فإنك من أهلها)) فأخرج تمرات من قرنه (2) فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل من تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتل حتى قتل (3).
وهذه النماذج تدل على صبر الصحابة وحكمتهم العظيمة، وصدقهم مع الله ورغبتهم فيما عنده – سبحانه – من الثواب وزهدهم في الدنيا.
والصحابة – رضي الله عنهم – لهم مواقف حكيمة كثيرة لا تُحْصَى، ولكن ما ذكرته هنا من مواقفهم ما هو إلا بعض الأمثلة اليسيرة من المواقف الحكيمة التي تدل على حكمتهم ويستفيد منها الدعاة إلى الله –تعالى –.
وأسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا. والله المستعان.

---

(1) كلمة تقال لتعظيم الأمر وتفخيمه في الخير. انظر: شرح النووي، 13/ 45.
(2) أي جعبة النشاب. انظر: شرح النووي، 13/ 46.
(3) مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، 3/ 1510، برقم 1901.

(1/77)

المبحث السابع: طرق تحصيل الصبر

المطلب الأول: الطرق العامة لتحصيل الصبر

لا يشك ذو مسكة عقل أن الصبر مرُّ المذاق، صعب على النفس البشرية لأنه يُعطِّلها عن مألوفاتها، ورغباتها، لذلك فلابدَّ من تعويدها عليه شيئاً فشيئاً حتى تستسيغه وتعضّ عليه بالنواجذ عند المصائب والفتن.
وسأبيّن جملة من الأمور التي تعين على الصبر، وتهوّنه على النفس، وهي على النحو الآتي:

أولاً: معرفة طبيعة الحياة الدنيا:
لعل أقرب أمر يعين الإنسان على الصبر ويحمل النفس عليه هو تصوّر الحياة التي يعيش فيها، ومعرفتها على حقيقتها وواقعها، فهي ليست جنة نعيم، ولا دار مُقامة، إنما ممرّ ابتلاء وتكليف؛ لذلك

فالكَيّس الفطن لا يفاجأ بكوارثها، فالشيء من معدنه لا يستغرب.
ولله دَرُّ القائل:

إن لله عباداً فُطَنا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفِتَنا
نظروا فيها فلما علموا ... أنها ليست لحيّ وَطَنا
جعلوها لُجَّةً واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سُفُنا

ورب العالمين يشير إلى أن حياة الإنسان محفوفة بالمخاطر مملوءة بالمتاعب في قوله: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ} (1).

(1) سورة البلد، الآية: 4.

فها هي الدنيا كما وصفت لا تستقيم على حال، ولا يقر لها قرار، فيوم لك وآخر عليك، قال تعالى: {إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ} (1).
وقد أحسن أبو البقاء الرندي القائل:

لكل شيء إذا ما تم نقصان ... فلا يغرّ بطيب العيش إنسان
هي الأيام كما شاهدتها دول ... من سره زمان ساءته أزمان

وليعلم العبد الصالح أنه لو فتش العالم لم يجد إلا مبتلى: إما بفوات محبوب، أو حصول مكروه، وأن سرور الدنيا أحلام نائم، وظل زائل، وسحابة صيف، إن أضحكت قليلاً أبكت كثيراً، وإن سرّت يوماً أساءت دهراً، وإن متّعت قليلاً، منعت طويلاً.

ثانياً: اليقين بحسن الجزاء عند الله:
إذا علم العبد أن الصابرين ينتظرهم أحسن الجزاء عند الله حين يرجعون إليه، ويقفون بيديه، فيعوضهم عن صبرهم خيراً، ويمنحهم أجراً، ويجزل لهم المثوبة، فإنه لاشك يتصبّر ويرضى بما قدّره الله.
ولا يجد المتتبع لآيات القرآن الكريم شيئاً ضُخّمَ جزاؤه، وعُظّم أجره مثل الصبر.
فهاهو يتحدث عن هذا الأجر بأسلوب المدح والتفخيم: {نِعْمَ أَجْرُ

(1) سورة آل عمران، الآية: 140.

الْعَامِلِينَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} (1).
ويُبيّن أن جزاءهم يكون بأحسن ما كانوا يعملون: {مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ
يَعْمَلُونَ} (2).
ويصرّح أن أجر الصابرين غير معدود، ورزقهم غير محدود: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ} (3).

ثالثاً: معرفة الإنسان نفسه:
الله – سبحانه وتعالى – هو الذي منح الإنسان الحياة؛ فخلقه من عدم، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، فهو ملك لله أولاً وآخراً، لذلك فإذا نزل بالعبد نازل سلبه شيئاً مما عنده، فإنما استردّ صاحب الملك بعض ما وهب، ولا ينبغي للمودَع أن يسخط على صاحب العارية إذا استردَّها.
وصدق لبيد بن ربيعة – رضي الله عنه – القائل:

وما المالُ والأَهلون إلا ودائعٌ ... ولابدّ يوماً أن تُردَّ الودائع

وفي قصة أم سُلَيم مع زوجها أبي طلحة دليل واضح على فهم السلف الصالح – رضوان الله عليهم – لهذه الحقيقة حيث عرفوا أنفسهم فعرفوا مقام ربهم وقدَّروه حقَّ قدره.

---

(1) سورة العنكبوت، الآيتان: 58 – 59.
(2) سورة النحل، الآية: 96.
(3) سورة الزمر، الآية: 10.

(1/80)

عن أنس – رضي الله عنه – قال: مات ابنٌ لأبي طلحة من أم سُلَيم فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه.
قال: فجاء فَقَرَّبَتْ إليه عشاءً فأكل وشرب، قال: ثم تَصَنَّعَتْ له أحسن ما كان تصنَّعُ قبل ذلك، فوقع بها، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها.
قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟
قال: لا.
قالت: فاحتسب ابنك.
قال: فغضب، وقال: تركتِني حتى تلطَّختُ ثم أخبرتني بابني، فانطلق حتى أتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأخبره بما كان.

فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((بارك الله لكما في غابر ليلتكما)).
قال: فحملت، قال: فكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في سفر وهي معه، وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا أتى المدينة من سفر لا يطرقها طُرُوقاً فدنوا من المدينة فضربها المخاض فاحتبس عليها أبو طلحة وانطلق رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.
قال: يقول أبو طلحة: إنك لتعلم يا رب أنه يعجبني أن أخرج مع رسولك إذا خرج وأدخل معه إذا دخل وقد احتبست بما ترى.
قال: تقول أم سُلَيم: يا أبا طلحة ما أجد الذي كنت أجد انطلق، فانطلقنا.
قال: فضربها المخاض حين قدما فولدت غلاماً.
فقالت لي أمي: يا أنس لا يرضعه أحد حتى تغدو به على رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فلما أصبح احتملته فانطلقت به إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: فصادفته

ومعه ميسم فلما رآني قال: ((لعل أم سُلَيم ولدت)).
قلت: نعم، فوضع الميسم. وقال: وجئت به فوضعته في حجره ودعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعجوة من عجوة المدينة فَلاكَها في فيه حتى ذابت ثم قَذَفَها في الصبي يتلمظها. قال: فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((انظروا إلى حُبِّ الأنصار التَّمْر)).
قال: فمسح وجهه وسمّاه ((عبد الله)).
[قال سفيان: قال رجل من الأنصار: فرأيت لهما تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن] (1).
وهذه المعاني قبس من قوله تعالى: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ} (2).
هذه الكلمة الطيبة تتضمن أصلين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلّى عن مصيبته:
1 – أن العبد وأهله وماله ملك لله – عز وجل – حقيقة.
2 – أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق ليوفيه حسابه.
فإذا كانت هذه بداية العبد وما خوّله ونهايته، فكيف يفرح بموجود أو يأسى على مفقود؟ ففكره في مبدئه ومعاده أعظم معين على التحلّي بالصبر عند الشدائد والمصائب والمحن والفتن، فاللهم ثبتنا بالقول

---

(1) البخاري مع الفتح، كتاب الجنائز، باب من لم يظهر حزنه عند المصيبة، برقم 1301، 3/ 169، و9/ 587، ومسلم مع النووي، 16/ 11، برقم 2144، وما بين المعقوفين للبخاري الموضع الأول.
(2) سورة البقرة، الآيتان: 155 – 156.

الثابت في الحياة الدنيا والآخرة.

رابعاً: اليقين بالفرج:
لا يشك العاقل أن نصر الله قريب، وفرجه آتٍ لا ريب فيه، وأن بعد الضيق سعة، ومع العسر يسراً؛ لأن الله وعد بهذا، والله لا يخلف الميعاد.
هذا اليقين جدير أن يبدد ظلمة القلق، ويقهر شبح اليأس، ويضيء نفس المؤمن بنور الصبر الذي لا يخبو.
ولذلك ورد الصبر في كتاب الله مقروناً بأن وعد الله حق كما في قوله تعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ} (1).
وقوله جل شأنه: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ} (2).
وقد وعد الله عباده الصابرين بقرب الفرج في صور، منها:
الأولى: الوعد بالسعة بعد الضيق، والرخاء بعد الشدة، واليسر بعد العسر، وفي هذا يقول جل وعلا: {سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا} (3).
ولم يكتف الخالق – سبحانه وتعالى – أن جعل اليسر بعد العسر، بل جعله في موطن آخر معه وبصيغة التأكيد حيث قال: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ

(1) سورة الروم، الآية: 60.
(2) سورة غافر، الآية: 55.
(3) سورة الطلاق، الآية: 7.

الْعُسْرِ يُسْرًا} (1).
وفي هذه الآيات يتجلى أمران:
1 – تحقق اليسر بعد العسر تحققاً قريباً حتى كأنه معه ومتصل به، حتى لو دخل العسر جحر ضب لتبعه اليسر، ولن يغلب عُسرٌ يُسرَين.
2 – إن مع العسر يسراً بالفعل، ولكن قد يكون ملموساً أو مكنوناً، ففي كل قدر لطف، وفي كل بلاء نعمة.
ولا يشكّ مؤمن عرف ربه وآمن به أن الله يُقدِّر ويلطف: {إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} (2)؛ لأنه أعلم بمن خلق وأرحم بهم من أنفسهم: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (3).
الثانية: الوعد بحسن العاقبة، والعبرة بالعواقب، والمدار على الخواتيم. قال تعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ} (4).

ولقد أحسن القائل:

اشتدّي أزمة تنفرجي ... قد آذن ليلك بالبلج

ولله درّ القائل:

ولرُبَّ نازلةٍ يضيق بها الفتى ... ذرعاً وعند الله منها المخرجُ

---

(1) سورة الشرح، الآيتان: 5، 6.
(2) سورة يوسف، الآية: 100.
(3) سورة الملك، الآية: 14.
(4) سورة هود، الآية: 49.

(1/84)

ضاقت فلمّا استحكمتْ حلقاتُها ... فُرِجت وكنت أظنها لا تُفرَجُ

الثالثة: الوعد بحسن العوض عما فات، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً. قال تعالى: {وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ * الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} (1).

خامساً: الاستعانة بالله:
إذا استعان العبد بربه ولجأ إلى حماه شعر بالطمأنينة في قلبه، والسكينة تملأ جوارحه، فمن كان في حمى الله فلن يضام. قال تعالى: {اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُواْ} (2).
ومن كانت معيّة الله معه، وعين الله ترعاه، فهو حقيق أن يتحمل المتاعب، ويصبر على الأذى.

سادساً: التأسّي بأهل الصبر والعزائم:
إن التأمّل في سِير الصابرين، وما لاقوه من ألوان الشدائد، وما ذاقوه من صنوف البلاء يعين على الصبر، ويطفئ نار المصيبة ببرد التأسي.
ومن هنا حرص القرآن الكريم والسنة النبوية على ذكر قصص الأنبياء والصالحين تسلية للنبي – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين، وتثبيتاً لقلوبهم في مواجهة البلاء والفتن. قال تعالى: {وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ

---

(1) سورة النحل، الآيتان: 41 – 42.
(2) سورة الأعراف، الآية: 128.

(1/85)

فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} (1).
ويجيء الخطاب الرباني لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – قائلاً: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ} (2).
فإذا ضاق صدره بما يفعلون، وأدركه الحزن عليهم مما يمكرون، وجد في صبر إخوانه من المرسلين ما يشد أزره، ويمضي عزمه، ويذهب همه، فهو ليس بدعاً مما أصاب الرسل من قبله، يقول الله – عز وجل –: {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ} (3).

سابعاً: الإيمان بقدر الله وقضائه:
على المسلم أن يعلم علم اليقين أن قدر الله نافذ لا محالة، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، جفت الأقلام وطويت الصحف. قال تعالى: {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} (4)، {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

---

(1) سورة هود، الآية: 120.
(2) سورة الأحقاف، الآية: 35.
(3) سورة الأنعام، الآية: 34.
(4) سورة الحديد، الآيتان: 22 – 23.

(1/86)

عَلِيمٌ} (1).
إن الركون للصبر في مثل هذا المقام أمر محمود بل واجب لأن مقادير الله نافذة سواء رضي العبد أم سخط، صبر أم جزع، ولكن العاقل ينبغي أن يتحلى بالصبر حتى لا يحرم المثوبة، وإلا ستؤول به السنن الكونية إلى صبر الاضطرار الذي لا قيمة له في دين الله كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((إنما الصبر عند الصدمة الأولى)) (2).
وذلك لأن العبد إن صبر إيماناً واحتساباً نفذت فيه المقادير وله الأجر، وإن جزع وهلع وتبرّم سلا

سَلْوَ البهائم ونفذت فيه المقادير، وعليه الوزر.

إن التسليم بالقدر هو مقتضى العقل والدين معاً، وإلا فليفعل ما يشاء من إظهار الكآبة والمبالغة في التوجع والتشكي، ولن يغيّر من الواقع شيئاً، ولن يبدّل سنن الله في الكون، وإنما يزيد نفسه كمداً وغماً، وحسرة.

وانظر أيها العبد الصالح كيف يقرّر الله هذه الحقيقة مخاطباً رسوله الكريم – صلى الله عليه وسلم – حين آذاه موقف قريش وتكذيبها له: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ الله يَجْحَدُونَ * وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ الله وَلَقدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ * وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي

---

(1) سورة التغابن، الآية: 11.

(2) البخاري مع الفتح،3/ 148،برقم 1283،ومسلم مع النووي،6/ 227،برقم 926،وتقدم تخريجه.

(1/87)

السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ الله لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ} (1).

وقال الله – عز وجل – للقانطين من رحمة الله اليائسين من نصره: {مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ الله فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ} (2).

ثامناً: استصغار المصيبة:

قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((يا أيها الناس أيما أحدٍ من الناس أو من المؤمنين أُصيب فليتعزَّ بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري؛ فإن أحداً من أمتي لن يُصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي)) (3).

وكتب بعض العقلاء إلى أخ له يعزيه عن ابن له يقال له: محمد، فنظم الحديث الآنف شعراً فقال:

اصبر لكل مصيبةٍ وتجلّدِ ... واعلم بأن المرء غير مُخلّدِ

وإذا ذكرت محمداً ومصابَهُ ... فاذكر مصابك بالنبي محمّدِ

تاسعاً: الحذر من الآفات العائقة في الطريق:

لابدَّ للناس عامة، وللمؤمنين خاصة، ولحملة الدعوة على وجه

---

(1) سورة الأنعام، الآيات: 33 – 35.

(2) سورة الحج، الآية: 15.

(3) أخرجه ابن ماجه واللفظ له، في كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصبر على المصيبة، برقم 1599، والدارمي، 1/ 40، وابن سعد، 2/ 275 وغيرهم، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، 1/ 267، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، 3/ 97، برقم 1106.

(1/88)

أخص أن يحذروا من الآفات النفسية التي تعتري النفس البشرية فتعيق الصبر وتعترض طريقه وهي:

1 – الاستعجال:

الإنسان مولع بالعاجل لأنه خلق من عجل؛ لقوله تعالى: {خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ} (1).

فإذا أبطأ الخير عن الإنسان نفد صبره، وضاق صدره ناسياً أن لكل أجل كتاباً مسمى، وأن الله لا يعجل بعجلة الخلق.

وليعلم العبد أن لكل ثمرة أواناً لنضوجها، فيحسن عندئذٍ قطافها، والاستعجال لا ينضجها بل يهلكها، وقديماً قيل: ((من استعجل الشيء قبل أوانه، عوقب بحرمانه)).

ولهذا خاطب الله رسوله قائلاً: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ} (2).

والاستعجال من سنن المشركين لجهلهم وسفههم فقد كانوا يستعجلون عذاب الله غروراً وعناداً، فردّ عليهم ربهم بما يقطع دابرهم: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلاَ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ} (3).

---

(1) سورة الأنبياء، الآية: 37.

(2) سورة الأحقاف، الآية: 35.

(3) سورة العنكبوت، الآية: 53.

(1/89)

2 – الغضب:

قد يرى المسلم ما يكره، ويسمع ما يؤذيه فيستفزّه الغضب إلى الإعراض عن الناس والنفور منهم، ومن ثم إلى اليأس والقنوط وهما آفة الصبر.

فيجب على المسلم أن يصبر على أذى الناس وإعراضهم عن دعوته، ويعاودهم المرة بعد المرة عسى أن يهدي الله به رجلاً واحداً، فيكون خيراً له مما طلعت عليه الشمس.

3 – الضيق:

قال تعالى لرسوله الكريم: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ}

(1).

وقال جل شأنه: {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} (2).

إن الإيمان والكفر والهدى والضلال لا يستطيع الإنسان أن يجلبها لمن أحب ويدفعها عنه، وإنما عليه التذكير والنصيحة والبيان والبلاغ.

4 – اليأس:

اليأس آفة الصبر الكبرى، لأنها تطفئ سراج الأمل، فيترك العبد العمل، ويخلد إلى الكسل.

---

(1) سورة النحل، الآية: 127.

(2) سورة هود، الآية: 12.

ولهذا حرص القرآن الكريم والسنة المطهرة على غرس بذور الأمل في نفوس المؤمنين. قال تعالى: {وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} (1).

وقال – جل جلاله – مخبراً عن موسى وقومه: {قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ* قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} (2).

وعلى منهج القرآن في إضاءة شعلة الأمل أمام المؤمنين درج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عندما جاءه خبّاب بن الأرتّ – رضي الله عنه – يشكو ما يلاقيه المؤمنون من أذى المشركين شكوى تحمل معنى الضيق والتبرّم والاستعجال، فضرب له رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مثلاً فقال: ((لقد كان من قبلكم ليُمشّط بمشاط من حديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويُوضع المنشار على مفرق رأسه فيُشقّ باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليُتِمَّنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حَضر مَوت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه)) وفي رواية: ((ولكنكم تستعجلون)) (3).

وما ذلك إلا لأن الأمل أعظم معين على الصبر على طول الطريق وقلة الرفيق، وخاصة في زمن الغربة، فاللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 139.

(2) سورة الأعراف، الآيتان: 128 – 129.

(3) البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه من المشركين بمكة، برقم 3852.

دينك وعافنا واعفُ عنا (1).

المطلب الثاني: طرق تحصيل الصبر عن المعاصي

الصبر عن المعاصي والسيئات ينشأ من أسباب عديدة، منها على سبيل المثال ما يأتي:

أولاً: علم العبد بقبحها ورذالتها ودناءتها، وأن الله إنما حرَّمها ونهى عنها صيانة وحماية عن الدَّنايا والرذائل، كما يحمي الوالد الشفيق ولده عما يضره. وهذا السبب يحمل العاقل على تركها ولو لم يعلق عليها وعيد العذاب.

ثانياً: الحياء من الله سبحانه؛ فإن العبد متى علم بنظر الله إليه، ومقامه عليه، وأنه بمرأى منه ومسمع، وكان حييّاً استحيى من ربه أن يتعرض لمساخطه.

ثالثاً: مراعاة نعمه عليك وإحسانه إليك؛ فإن الذنوب تزيل النعم ولابدَّ، فما أذنب عبدٌ ذنباً إلا زالت عنه نعمة من الله بحسب ذلك الذنب، فإن تاب ورجع رجعت إليه أو مثلها، وإن أصرّ لم ترجع إليه، ولا تزال الذنوب تزيل عنه نعمة نعمة حتى تسلب النعم كلها، كما قال تعالى: {إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ} (2)، وقال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ

---

(1) انظر: الصبر الجميل للشيخ سليم بن عيد الهلالي، ص55 – 70، ودعوة الحق، العدد 54 ص151 – 160، والصبر في القرآن للدكتور يوسف القرضاوي، 91 – 112.

(2) سورة الرعد، الآية: 11.

وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (1).

وأعظم النعم الإيمان، وذنب الزنا والسرقة وشرب الخمر وانتهاب النهبة يزيل النعم ويسلبها.

قال بعض السلف: أذنبتُ ذنباً فحُرِمتُ من قيام الليل سنة.

وقال آخر: أذنبتُ ذنباً فحُرِمتُ فهم القرآن. وفي مثل هذا قيل:

إذا كنتَ في نعمة فارْعَهَا ... فإنّ المعاصي تُزيل النعم

وبالجملة فإن المعاصي نار النعم تأكلها كما تأكل النار الحطب، عياذاً بالله من زوال نعمته، وتحول عافيته، وفُجاءة نقمته، وجميع سخطه.

رابعاً: خوف الله وخشية عقابه، وهذا إنما يثبت بتصديقه في وعده ووعيده والإيمان به وبكتابه

وبرسوله، وهذا السبب يَقْوَى بالعلم واليقين، ويضعف بضعفهما. قال الله تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} (2).

خامساً: محبة الله، وهي من أقوى الأسباب في الصبر عن مخالفته ومعاصيه؛ فإن المحب لمن يحب مطيع.

سادساً: شرف النفس وزكاؤها وفضلها وأنفتها وحميتها أن تختار الأسباب التي تحطّها وتضع قدرها، وتخفض منزلتها وتحقرها، وتسوّي بينها وبين السفلة.

---

(1) سورة الأنفال، الآية: 53.

(2) سورة فاطر، الآية: 38.

سابعاً: قوة العلم بسوء عاقبة المعصية، وقبح أثرها والضرر الناشئ منها: من سواد الوجه، وظلمة القلب، وضيقه وغمّه، وحزنه وألمه، وانحصاره وشدة قلقه واضطرابه، وتمزّق شمله، وضعفه عن مقاومة عدوّه؛ فإن الذنوب تميت القلوب، والعبد إذا أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب منها صقل قلبه، وإن أذنب ذنباً آخر نكت نكتة أخرى، ولا تزال حتى تعلو قلبه، فذلك هو الران قال الله تعالى: {كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (1).

وبالجملة فآثار المعصية القبيحة أكثر من أن يحيط بها العبد علماً، وآثار الطاعة الحسنة أكثر من أن يحيط بها علماً، فخير الدنيا والآخرة بحذافيره في طاعة الله، وشر الدنيا والآخرة بحذافيره في معصيته.

ثامناً: قصر الأمل، وعلمه بسرعة انتقاله، وأنه كمسافر دخل قرية وهو عازم على الخروج منها، أو كراكب قال في ظل شجرة ثم سار وتركها، فهو لعلمه بقلة مقامه وسرعة انتقاله حريص على ترك ما يثقله حمله ويضرّه ولا ينفعه، حريص على الانتقال بخير ما بحضرته، فليس للعبد أنفع من قصر الأمل، ولا أضرّ من التسويف وطول الأمل.

تاسعاً: مجانبة الفضول في مطعمه ومشربه وملبسه ومنامه واجتماعه بالناس؛ فإن قوة الداعي إلى المعاصي إنما تنشأ من هذه الفضلات، فإنها تطلب لها مصرفاً فيضيق عليها المباح فتتعدّاه إلى الحرام، وأعظم الأشياء ضرراً على العبد بطالته وفراغه؛ فإن النفس لا تقعد فارغة، بل إن لم

---

(1) سورة المطففين، الآية: 14.

يشغلها بما ينفعه شغلته بما يضره ولابد.

عاشراً: ثبات شجرة الإيمان في القلب، وهو الجامع لهذه الأسباب كلها: فصبر العبد عن المعاصي إنما هو بحسب قوة إيمانه، فكلما كان إيمانه أقوى كان صبره أتمّ، وإذا ضعف الإيمان ضعف الصبر. والله

يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

المطلب الثالث: طرق تحصيل الصبر على الطاعات

والصبر على الطاعة ينشأ من معرفة أسباب الصبر عن المعاصي السابقة، ومن معرفة ما تجلبه الطاعة من العواقب الحميدة والآثار الجميلة، ومن أقوى أسبابها الإيمان والمحبة، فكلما قوي داعي الإيمان والمحبة لله تعالى، ولرسوله – صلى الله عليه وسلم – في القلب كانت استجابته للطاعة بحسبه.

المطلب الرابع: طرق تحصيل الصبر على المصيبة والبلاء وأقدار الله المؤلمة

كثيرة، منها الطرق الآتية:

أولاً: معرفة جزائها وثوابها (1).
ثانياً: العلم بتكفيرها للسيئات ومحوها لها (2).
ثالثاً: الإيمان بالقدر السابق الجاري بها، وأنها مقدرة في أم الكتاب قبل أن يُخلق فلابد منها، فجزعه لا يزيده إلا بلاء.

---

(1) انظر: الدعاء والعلاج بالرقى للمؤلف، ص127 – 131؛ فإن فيه أدلة من الكتاب والسنة على علاج المصيبة ينبغي أن يستحضرها من أصيب بمصيبة، وانظر أيضاً: تبريد حرارة المصيبة للمؤلف.
(2) انظر: تبريد حرارة المصيبة للمؤلف، وزاد المعاد، 4/ 188 – 196.

رابعاً: معرفة حق الله عليه في تلك البلوى، وواجبه فيها الصبر بلا خلاف بين الأمة، أو الصبر والرضا على أحد القولين، فهو مأمور بأداء حق الله وعبوديته عليه في تلك البلوى، فلابد له منه وإلا تضاعف عليه.
خامساً: العلم بترتبها عليه بذنبه، كما قال الله تعالى: {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ} (1).
فهذا عام في كل مصيبة دقيقة وجليلة، فشغله شهود هذا السبب بالاستغفار الذي هو أعظم أسباب دفع تلك المصيبة.
قال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –: ((ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع بلاء إلا بتوبة)) (2).
سادساً: أن يعلم أن الله قد ارتضاها له واختارها وقسمها وأن العبودية تقتضي رضاه بما رضي له به سيده ومولاه، فإن لم يوفِّ قدر المقام حقه فهو لضعفه، فلينزل إلى مقام الصبر عليها، فإن نزل عنه نزل إلى مقام الظلم وتعدي الحق.
سابعاً: أن يعلم أن هذه المصيبة هي دواءٌ نافع ساقه إليه الطبيب العليم بمصلحته، الرحيم به، فليصبر

على تجرعه، ولا يتقيأه بتسخطه وشكواه فيذهب نفعه باطلاً.
ثامناً: أن يعلم أن في عُقبى هذا الدواء من الشفاء والعافية والصحة وزوال الألم ما لم تحصل بدونه، فإذا طالعت نفسه كراهة هذا الدواء

---

(1) سورة الشورى، الآية: 30.
(2) ذكره الإمام ابن القيم في طريق الهجرتين وباب السعادتين، ص457 وبحثت عنه كثيراً فلم أجد من خرجه.

ومرارته فلينظر إلى عاقبته وحسن تأثيره. قال الله تعالى: {وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَالله يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} (1)، {فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ الله فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} (2).
تاسعاً: أن يعلم أن المصيبة ما جاءت لتهلكه وتقتله وإنما جاءت لتمتحن صبره وتبتليه؛ فيتبين حينئذ هل يصلح لاستخدامه وجعله من أوليائه وحزبه أم لا؟ وفضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.
عاشراً: أن يعلم أن الله يربِّي عبده على السراء والضراء، والنعمة والبلاء، فيستخرج منه عبوديته في جميع الأحوال؛ فإن العبد على الحقيقة من قام بعبودية الله على اختلاف الأحوال وقال: ((اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك)) (3).
فهذه الأسباب ونحوها تثمر الصبر على البلاء، فإن قويت أثمرت الرضا والشكر.
نسأل الله أن يسترنا بعافيته، ولا يفضحنا بابتلائه بمنّه وكرمه (4).
وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(1) سورة البقرة، الآية: 216.
(2) سورة النساء، الآية: 19.
(3) أبو داود، كتاب الصلاة، باب الاستغفار، برقم 1522، والنسائي، كتاب السهو، باب نوع آخر من الدعاء، برقم 1302، والبخاري في الأدب المفرد، برقم 690، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، 1/ 284، وفي صحيح الأدب المفرد، برقم 533.
(4) انظر: كتاب طريق الهجرتين، وباب السعادتين لابن القيم، ص448 – 459، وانظر: زاد المعاد، له، 4/ 188 – 196، وعدة الصابرين، له أيضاً، ص76 – 86.